

الكتاب: تفسير سورة الحجرات

تأليف: الشيخ محسن قراءتي

ترجمة: الشيخ جعفر الهادي

إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم

الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م لبنان - بيروت

جميع حقوق الطبع محفوظة

تفسيـر
سورة الحجرات



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وأهل بيته الطاهرين .

مقدمة

لقد دفع اهتمام الجيل الجديد بالقرآن، والإقبال عليه من جهة، والحاجة إلى معرفة تفسيره من جهة أخرى جماعات كبيرة من الناس إلى البحث عن تفسير القرآن .

وحيث إنّ إعداد تفسير يشمل كلّ القرآن الكريم يحتاج إلى ميزانية ضخمة، كما إن مطالعة ذلك القدر من التفسير هي الأخرى بحاجة إلى استعداد روحي ونفسيّ كبيرين غير متوفّرين لدى أغلب الناس، أقدمت بعض الشخصيات من علمائنا على شرح وتفسير كامل السور القرآنية ونشرها بصورة مستقلة .

ويعتبر تفسير سورة الحجرات - وهو الكتاب الحاضر - الجزء الثاني من هذا المسلسل القرآني .

وفي الوقت الذي نشكر الله تعالى على أن وفّقنا لهذا العمل، نشكر كلاً من أصحاب الفضيلة الكلّباسي والدهشيري والجعفري، الذين بذلوا ساعات عديدة في إعداد هذا التفسير وإنجاز هذا المشروع.

وكما إنّ النقاط التي تسطع عليها الشمس من الكرة الأرضية تكون منورة ومضاءة، أما ما لم تسطع عليها الشمس فيغرق في الظلام، كذلك فإن وجد القارئ الكريم نقاطاً مشرقة في هذا الكتاب فليعرف أن ذلك هو من نور القرآن نفسه ومن هدايات النبي والأوصياء والشهداء والعلماء، أما ما قد يجده من نقص أو ضعف، فليعتبره من المؤلف.

وختاماً نسأل الله تعالى أن يجعل من القرآن نوراً لفكرنا وعملنا، ولبياننا وقلبنا، ولقبرنا وقيامتنا، ولسياستنا واقتصادنا، ولمجتمعنا وجيلنا، ولأهلنا ولتاريخنا، إنه سميع مجيب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَنْقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلشَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ ۚ فَتُصِِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ۗ وَلَٰكِن آَلَلَهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا

بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُسَخَّرَ
 قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
 مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
 الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا
 كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا
 أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
 اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
 شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾
 قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ
 الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
 لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ
 أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
 تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ .

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

ملاحة هذه السورة:

نزلت هذه السورة في المدينة، وعدد آياتها ثمان عشرة آية ووصفت بأنها سورة الأخلاق والآداب.

و«الحُجُرَات» جمع «حُجْرَة» أي غرفة، وإنما سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنها تضمّنت الإشارة إلى حجرات النبي الأكرم ﷺ التي كانت عُرفاً بسيطة جداً، ومبنية من الطين، وكانت سقوفها مشيدةً من الخشب وجريد النخل.

لقد بدأت ثلاث سور من القرآن الكريم والتي تدور حول القضايا الحكومية والاجتماعية، بعبارة: **يَكْفِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا** ^(٤) مرة بعد أخرى. وفي هذه السورة بسبب تكرار جملة **يَكْفِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا** يتجلى سيماء المجتمع الإسلامي.

(١) فنحن نقرأ في مطلع سورة المائدة: **يَكْفِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** . وقرأ في مطلع

سورة الممتحنة: **يَكْفِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** وفي مطلع السورة الحاضرة

تقرأ: **يَكْفِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** .

لقد تَضَمَّنَت هذه السورة قضايا ومسائل لم تُطرح في سور أخرى ومن تلك القضايا:

١ - النهي عن التقدّم على النبي ﷺ والحث على مراعاة آداب التعامل معه ﷺ وتحذير غير المتأدّبين معه ﷺ.

٢ - النهي عن الإستهزاء بالآخرين، وعن الهمز واللمز وسوء الظن، والتجسس، والغيبة المحرّمة في المجتمع المؤمن.

٣ - مسألة الأخوة والأمر بالإصلاح، والتعبئة العامة ضد البغاة، والوساطة العادلة، وضرورة التحقق من الأنباء والأخبار الواردة عن طريق أشخاص مشكوك في أمرهم، وتعيين وتحديد ملاك التفوق والأفضلية في المجتمع المؤمن.

٤ - في هذه السورة التي جاء فيها الفرز الواضح بين درجات المسلمين ودرجات المؤمنين، اعتبرت التقوى ملاكاً للقيم، كما اعتبر الإيمان هو المحبوب والمدوح لا سواه، والكفر، والفسق، والمعصية هي المنفورة والمرفوضة، كما اعتبر القسط والعدل هما المحور في المجتمع.

٥ - اعتبر المجتمع الإيماني، في هذه السورة - مديناً لله تعالى، ومحبباً أشدّ الحبّ لرسول الله ﷺ لكنه الواسطة في هدايته فعليه أن لا يمن بإسلامه وإيمانه على الله ورسوله.

٦ - في المجتمع الإيماني - على الناس - كما في هذه السورة أن يكونوا تبعاً لرسول الله ﷺ، وأن لا يتوقعوا مطلقاً اتباع الرسول ﷺ للناس.

نقاط وتأمّلات:

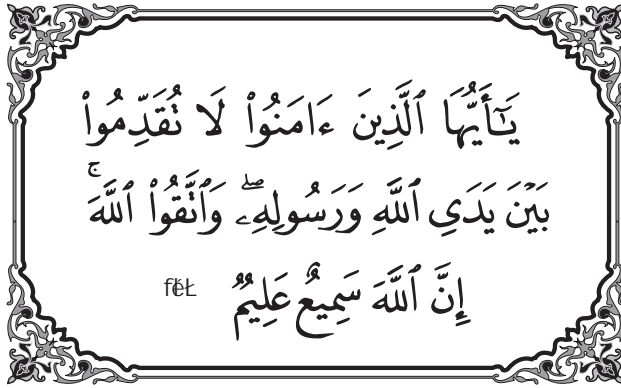
هذه السورة كسائر السور الأخرى تبدأ هي أيضاً باسم الله تعالى لأنه جاء في الحديث الشريف «كَلَّ أَمْرٌ ذِي بَالٍ لَمْ يَذْكَرْ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ فَهُوَ أُبْتَرٌ»^(١).

أجل إن الإنسان يحتاج عند الشروع والبدء في جميع الأعمال إلى الاستمداد من رحمة واسعة وتلك الحاجة ترتفع وتحقق الغاية المنشودة بجملة: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» المباركة.

إن البدء بسم الله لدى الشروع في كل عمل علامة الإيمان بالله، ودليل على حبه وذكره، والتوكّل عليه وهو يصبغ الأعمال بصبغة إلهية ويعطيها وجهة ربّانية.

(١) بحار الأنوار: ج٧٣، ص٢٠٥، من الطبعة البيروتية.

الآية ١



نقاط وتأمّلات:

هذه الآية تحول دون الكثير من الأخطاء، لأن طلبات أكثرية الناس التي تتمثل أحياناً في أمور ظاهرية مادية، وفي إتباع الحدس والتخمين، والرغبة في الابتكار والتجديد غير المبرر، والهيجان والتعجّل في القضاء وإصدار الحكم، وتخيل التحرر وحرية الفكر، قد تحمل الإنسان على التلفظ بقول أو كتابة شيء أو اتخاذ قرارات تجعل الإنسان - من غير قصد وانتباه - في مواجهة

إرادة الله سبحانه ورسوله ﷺ، كما أن تخيُّل العبادة وتصور القاطعية، وتخيُّل الثورية وتصور الزهد والبساطة في العيش، قد تدفع البعض أحياناً إلى أن يتقدّم على الله سبحانه ورسوله ﷺ .

إن هذه الآية تريد أن تربي الناس تربية عالية، وتصنع منهم نماذج راقية كما لو كانوا ملائكة، لأنّ القرآن يصف الملائكة بأنهم: **لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** (٤).

إنّ القرآن الكريم - في الآية الحاضرة - لم يبيّن الموارد التي ينهى فيها عن التقدم على الله تعالى ورسوله ﷺ، ولم يحدّد مصاديقها بل أطلق ليشمل كل أنواع التقدم العقيدي، والعلمي، والسياسي، والاقتصادي وغيرها، في مجال القول والعمل .

طلب بعض أصحاب النبي ﷺ أن يخلصوا أنفسهم ويقضوا على قواهم الجنسيّة حتى لا تبقى عندهم رغبة في الأزواج، من أجل أن يوظّفوا أنفسهم لخدمة الإسلام بصورة كاملة، وقد نهاهم رسول الله ﷺ عن هذا العمل القبيح .

إنّ الذي يتقدّم على الله ورسوله ﷺ يحدث خللاً في نظام الإدارة ويربكه، ويجرّ المجتمع إلى الفوضى، والهرج والمرج، وفي الحقيقة يجعل الجهاز الإداري ونظام التقنين لعبة خاضعة لأهوائه، ورغباته الشخصية .

دروسٌ وبصائر:

١ - لكي تجد الأوامر والقوانين طريقها إلى التنفيذ يجب أولاً إيجاد أرضية القبول في نفوس المخاطبين، والخطاب بعبارة: **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا** يعطي شخصية للمخاطب ويبين علاقته بالله تعالى، تلك العلاقة المطلوبة في مجال القيام بالعمل، وتنفيذ الأوامر الإلهية وتشعره بالالتزام أمام الله سبحانه وتعالى.

٢ - حيث إن الأمر بعدم التقدم على الله تعالى ورسوله ﷺ هو أمر برعاية الأدب في مجال التعامل، لذا فإن الآية نفسها كذلك نادى المخاطب بأدب خاص: **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا** .

٣ - بعض ما تفرزه الطوائف الشخصية وبعض العادات والأعراف الاجتماعية والكثير من المقررات والقوانين البشرية التي ليس لها جذور في القرآن والحديث، ولا تنطلق من العقل والفترة، ما هي إلا نوع من التقدم على الله سبحانه والرسول ﷺ: **لَا تُقَدِّمُوا** .

٤ - إنَّ أيَّ تحريمٍ للنعم التي أحلَّها الله تعالى، وأيِّ تحليلٍ للمحرّمات يكون من التقدّم على الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ: **لَا تُقَدِّمُوا** .

٥ - كلُّ بدعةٍ ومبالغةٍ ومدحٍ لما لا يستحقُّ المدح، وكلُّ نقدٍ غيرٍ مبرّرٍ يكون من التقدّم المنهي عنه: **«لا تقدّموا...»**.

٦ - يجب أن يكون القرآن والسنة هما المصدر لفقهنا وأعمالنا: **«لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله»**.

٧ - إنَّ التقدّم على الله سبحانه ورسوله ﷺ يخالف التقوى، لأنَّ الله تعالى يقول في هذه الآية: **«لا تقدّموا... واتّقوا»**.

٨ - لا قيمة لأية حرية، وتنمية وتقدم خارج الإطار المذكور: **«لا تقدّموا...»**.

٩ - للقيام بالتكاليف لا بدّ من عنصرين هما: الإيمان والتقوى (فقد جاء في هذه الآية لفظة **«أمّنوا»** ولفظة **«اتّقوا»** معاً).

١٠ - إنَّ مما يجعل هذه الآية أكثر جمالاً هو ورود الأمر والنهي أحدهما إلى جانب آخر (فقد جاء في الآية النهي **«لا تقدّموا»** والأمر **«واتّقوا»** معاً).

١١ - إنَّ حكم الرسول هو حكم الله سبحانه نفسه، وعدم احترامه يكون بمثابة عدم الاحترام لله تعالى، والتقدّم عليهما معاً ممنوع ومرفوض **«لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله»**.

١٢ - إن الالتزام العملي يجب أن يكون مقروناً بالتقوى الباطنية «لا تقدموا... واتقوا الله».

١٣ - الذين يتقدمون على الله عز وجل ورسوله ﷺ تحت تأثير الطبيعة الشخصية، ولدوافع أخرى لا إيمان لهم ولا تقوى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا... واتقوا».

١٤ - ينبغي أن لا نبرر ما يصدر منّا من إفراط أو تفريط: «إن الله سميع عليم».

نماذج

من التقدّم على الله تعالى ورسوله ﷺ:

والآن نشير إلى عدة نماذج تاريخية من تقدم الناس على الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ مما جاء في كتب التفسير والحديث:

١ - أقدم جماعة في يوم الأضحى على ذبح أصحابهم قبل رسول الله ﷺ فقبل لهم: **لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ^(٤).

٢ - صام جماعة قبل أن يثبت هلال شهر رمضان فقبل لهم: **لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ^(٥).

٣ - بعث رسول الله ﷺ جماعة إلى الكفار للتبليغ والدعوة، فأقدم الكفار على قتل أولئك المبلّغين - إلا ثلاثة أنفار فرّوا، وفي أثناء الطريق التقوا شخصين من قبيلة بني عامر الكفار، فقتلوهما انتقاماً للشهداء من أصحابهم في حين لم يكن لديك الشخصين العامريين أي ذنب،

(١) الكشاف للزمخشري: ج٤، ص٢٥٠.

(٢) نفس المصدر.

فوبّخهم القرآن الكريم على تصرفهم الكيفيّ هذا، وتدّد بعملهم، لأنهم أقدموا على هذا العمل من دون إذن النبيّ ﷺ ^(٤).

٤ - قال الإمام الصادق عليه السلام لشخص: وهو يعلمه دعاء قل: «يا مقلب القلوب». فقال الرجل: «يا مقلب القلوب والأبصار».

فقال له الإمام عليه السلام: أنا لم أقل: «والأبصار»، «لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله» ^(٥).

٥ - طلب بنو تميم من النبيّ ﷺ أن ينصبّ لهم أميراً، فاقترح (البعض) شخصاً للإمارة وتنازعا في محضر النبيّ ﷺ كل يرجع ما اقترح، فنزل قول الله تعالى: لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ... لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ^(٥).

٦ - قال الإمام عليه السلام - في تعليمه دعاء لشخص - اقرأ هذا الدعاء: «لا إله إلا الله...» إلى أن قال: «يُحْيِي وَيُمِيت».

فأضاف المخاطب من عنده عبارة: «وَيُمِيت وَيُحْيِي».

فقال له الإمام: لا بأس فيما قلت، ولكن قل ما قلته لك ثم اقرأ عليه السلام الآية: لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(١).

(١) الكشاف: ج٤، ص٣٥٠.

(٢) كمال الدين للصدوق: ص٢٥٢.

(٣) صحيح البخاري: ج٢٢، ص١٢٢، باب التفسير.

(٤) الخصال: للصدوق، ج١، ص٦٢.

٧ - حَرَّمَ بعض صحابة النبي ﷺ الطعام والنوم ونكاح أزواجهم، على أنفسهم، فغضب رسول الله ﷺ ثم رقى المنبر وقال: «ما بال قوم يحرّمون على أنفسهم الطيبات؟! ألا إني أنام اللّيل، وأنكح، وأفطرّ بالنهار، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»^(٤).

٨ - في السنة الثامنة من الهجرة عندما خرج رسول الله ﷺ من المدينة مع النّاس لفتح مكة، لم يفطر بعض الناس وهم في السفر (مع أنهم كانوا يعلمون أنه ليس في السفر صوم، ثم إنهم كانوا قد رأوا النبي ﷺ قد أفطر)^(٥).

وقد كان هؤلاء هم من الذين تقدّموا على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ:

«لا تُقدّموا بينَ اللهِ ورسولِهِ».

٩ - كان في أصحاب الأديان السابقة المتقدمة على الإسلام كذلك نماذج من هذا التقدم، فقد رفع بعضهم المسيح إلى مرتبة الألوهية، وهو الغلو في الدين الذي نهى عنه، مع أنّ السيد المسيح ﷺ كان ابن مريم وكان عبداً لله^(٥).

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٣، ص ٢٤٤.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصوم.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١، سورة المائدة، الآية: ٧٧.

نماذج من التخلف:

كما أنّ التقدّم على الله سبحانه ورسوله ﷺ مرفوض، فإنّ التخلف عن أمرهما وعدم تنفيذ أمر الله تعالى ورسوله ﷺ ممنوع أيضاً. فعندما يدعو الله سبحانه ورسوله ﷺ وخلفاؤه الشرعيون، الناس إلى أمر، يجب على الناس المبادرة إلى تنفيذ ذلك الأمر عن شوق ورغبة، والتلبية من دون إبطاء.

ولقد انتقد القرآن الكريم في آيات عديدة بشدّة أولئك الذين تباطأوا وتلكأوا في تنفيذ أوامر إلهية نبوية رغم التعبئة والدعوة الأكيدة، فقال مستنكراً عليهم: **مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ** (٤).

ونشير في هذا الصعيد إلى نماذج:

أ- عباً رسول الله ﷺ قبيل وفاته جيشاً للدّفاع عن منطقة من المناطق، وأمّر على ذلك الجيش شاباً اسمه أسامة بن زيد وقال: **«لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»**.

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

ولكن جماعة تخلفوا عن هذا الأمر^(٤).

ب - لقد انتقد القرآن أشخاصاً بشدة بسبب تخلفهم عن أمر النبي ﷺ وأنهم لم يذهبوا إلى جبهة القتال وكانوا فرحين بذلك: **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ**^(٥).

ج - في معركة «أحد» مع أن المسلمين انتصروا في الحملة الأولى، ولكن بسبب تخلف جماعة الرماة - وكانوا خمسين شخصاً - عن أمر الرسول، وتركهم ثغرة مهمة في جبل «أحد» رغبة في جمع الغنائم، وطمعاً في عرض الدنيا، لحقت بالمسلمين، هزيمة نكراء، وأدت إلى استشهاد سيد الشهداء «حمزة» عم النبي ﷺ وليف من أصحابه الأوفياء.

وقد لخص القرآن أسباب الهزيمة في ثلاثة أمور هي: التراخي، والاختلاف، والتخلف عن الأمر، إذ يقول تعالى عنهم: **حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ**^(٥).

د - ندّد الإمام عليّ عليه السلام كما في نهج البلاغة - مراراً وبشدة - بقساة القلوب أو بالجنباء والمتكاسلين واستخدم للتعبير عن ذلك عبارات مثل قوله: «يا أشباه الرجال ولا رجال»^(١).

(١) كتاب المغازي، ج٢، ص١١٧، والملل والنح: للشهرستاني، ج١، المقدمة الرابعة، الخلاف الثاني.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٧.

وعلى هذا فإنَّ الله تعالى لم يطلب منّا فقط أن لا نتقدّم على الله سبحانه
ورسوله ﷺ، بل يطلب منّا كذلك أن لا نتخلف عن أمر الله تعالى ورسوله
ﷺ.

إنه يطلب منّا أن نكون مع الله عزّ وجلّ ونبيّه فكراً وعملاً: «والَّذِينَ

مَعَهُمْ...».

بحث حول التقوى:

وبمناسبة الإشارة إلى عبارة «واتقوا الله» نشير إلى نقاط هامة فيما يرتبط بالتقوى:

١ - إن الهدف من الأوامر الإلهية التقوى في الإنسان فالقرآن الكريم مثلاً يقول: **يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (٤).

ويقول أيضاً: **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (٥).

٢ - إن التقوى أساس لقبول الهداية: **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** (٥).

٣ - إن الله تعالى يمنح المتقين علوماً خاصة: **وَأَتَوْا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ** (١).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

٤- إن التقوى هي الوسيلة لاستحقاق الرحمة الإلهية وتلقيها: **وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (٤).

٥- إن التقوى وسيلة لقبول العمل فنحن نقرأ في القرآن الكريم: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** (٥).

٦- إن التقوى وسيلة لحصول المتقي على الرزق من طرق لا يتوقعها، ولم يتصورها: **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** (٦).

٧- إن الله وعد المتقين بأن لا يواجهوا طرقاً مسدودة ولا أبواباً موصدة في حياتهم **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** (٧).

٨- إن الله تعالى يفيض بكل ألوان نصرته وإمداداته الغيبية على المتقين فهو سبحانه معهم على الإطلاق: **وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** (٨).

٩- إن التقوى طريق النجاة من أخطار يوم القيامة ومخاوفه **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا** (٩). **وَسَبِّحْ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُتَّقِينَ** (٩).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٥) سورة التوبة، الآيات: ٣٦ و ١٢٣.

(٦) سورة مريم، الآية: ٧٢.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

العوامل المحصلة للتقوى:

وبعد أن أشرنا إلى طرف من معطيات التقوى، وآثارها الطيبة نشير إلى العوامل المؤثرة في تحقق حالة التقوى، وحصولها في النفس الإنسانية:

١ - الإيمان بالمبدأ والمعاد يصون الإنسان عن المعاصي والذنوب، وكما كانت درجة الإيمان أعلى كانت حالة التقوى أقوى .

٢ - النظرة العامة (المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) سبب لنمو وتقوية روح التقوى في المجتمع .

٣ - التربية العائليّة الأسريّة .

٤ - الطعام الحلال .

٥ - سلوك المسؤولين ونوع ممارساتهم وتصرفاتهم .

٦ - الأقارب والأصدقاء (الزوجة والجار والزميل في العمل، وفي الدراسة) .

٧ - الإشتغال والعمل .

٨ - مصاحبة المتّقين .

هذه من العوامل المؤثرة في حصول وتحقيق حالة التقوى عند الفرد والمجتمع .

هل للتقوى محدودية؟

يتخيّل البعض أن التقوى سجنٌ وأنّ لها محدوديةً، ولكن الحق أن التقوى قلعة (حصن) وليس سجنًا.

وهناك فرق بين الحصن والسجن، وهو أن السجن يقفل من الخارج، وهو محدودية مفروضة لا تتفق مع الحرية البشرية، (والإنسانية). أما القلعة فيختارها الإنسان نفسه، ويقفلها من الداخل ليأمن أنواع الحوادث.

نرى أننا عندما نلبس الحذاء، هل نصون أرجلنا من الآفات بذلك أم نفرض عليها محدودية؟!

إذاً ليست كلُّ محدودية مسألة سيئة ومرفوضة، وليست كل حرية امر جيد وقيّم، كما إنه ليست كل تنمية وتنام حاجة جيدة، وقيّمة، لأن خلية السرطان الخطير قد تنمو في البدن وهو مع ذلك أمر بغیض.

كما إنه ليس كل تراجع ورجوع يعدّ أمراً سيئاً، فالمرضى الذين يراجعون الطبيب لا يهدفون من ذلك إلا إلى العودة إلى الحالة السابقة (وهي حالة العافية) وهذا الرجوع مسألة قيّمة.

إذا فالتقوى تعني الحصانة والصيانة.

قد تقدم بعض النساء - والفتيات - وبحجة الحرية والتحرر من القيود على جعل أنفسهن في معرض رؤية الآخرين والنظر إليهن، ولكن إذا فكرت هؤلاء النسوة (ولو لبضع دقائق فقط) في أنفسهن - حتى إذا لم يكن مسلمات - لعرفن أن عقولهن تدعوهن إلى العفة والطهر، وإلى الحجاب والتستر عن أعين الرجال، لأن عدم التحجب، أو السفر الناقص يتسبب في:

- ١ - سوء الظن بهن .
- ٢ - التأمر لاختطافهن .
- ٣ - انفصام عرى العائلة .
- ٤ - الحركات المفسدة وانعدام التوازن الروحي إثر ذلك .
- ٥ - الوقوع في فخّ التظاهر وفي مصيدة ودوامة اللهاث وراء الكماليات المجهد .
- ٦ - توجيه ضربة علمية إلى الطلبة، والقضاء على التركيز الفكري الضروري لهم في مجال المطالعة والدراسة .
- ٧ - إيقاع المعوزين ممن لا يمكنه توفير وتحصيل هذه الأنواع والألوان من الألبسة، والكماليات، في المشاكل .
- ٨ - إلحاق ضربة اقتصادية (بالفرد والمجتمع) لأنهنّ بدلاً من مراعاة الدقة

- والإتقان في العمل، سيشغلن باللهو وبالاهتمامات الشهوانية.
- ٩ - إصابة النساء والفتيات - اللائي لا يحظينّ بجمال الوجه، وحسن الملامح - باليأس والإحباط، والصدمة والإخفاق.
- ١٠ - إلقاء الوالدين في دوامة الوسواس.
- ١١ - إرضاء اللاهثين وراء الشهوات الحرام.
- ١٢ - إغراق أفراد المجتمع في المنافسات السلبية.
- ١٣ - الفرار من البيوت والعوائل.
- ١٤ - ولادة الأولاد غير الشرعيين.
- ١٥ - ظهور الأمراض الجنسية.
- ١٦ - ظهور الأمراض والأزمات الروحية.
- ١٧ - ظهور قضايا سلبية مثل الإجهاض والانتحار، أو قتل الآخرين والاعتداء عليهم، وحوادث سير مفرجة، و.....
- هذا هو بعض ما يمكن أن يحصل بسبب انعدام التقوى مما يكون منشأ التبرّج والسفور وعدم الالتزام بالحجاب.
- ولعلّ من أجل هذا تكرّرت التوصية في القرآن الكريم بالتقوى، وطلب من أئمة الجمعة أن يطرحوا مسألة الالتزام بالتقوى في خطبهم دائماً، ولعلّ لأجل هذا لا يرضى القرآن ولا يقنع بالقدر القليل من

التقوى فيقول: **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ^(٤).

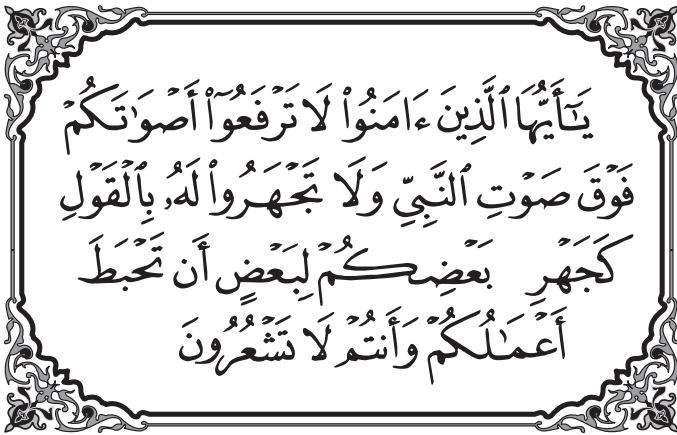
ويقول في موضع آخر: **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ** ^(٥).

طبعاً يجب أن لا نياس ونفقد الأمل، لأننا متى ما وقعنا في معصية، يمكننا أن نخلص أنفسنا من مستنقع الذنب والمعصية بحبل الصلاة والتوبة والاستعانة بالله.

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

الآية ٢



نقاط وتأملات:

في الآية السابقة نهى الله تعالى عن التقدم على الله سبحانه ورسوله ﷺ في مقام العمل والممارسة، وفي هذه الآية يبين طريقة التحدث مع النبي ﷺ ويقول: احترموا رسول الله ﷺ عند التحدث عنه. وفي الآية ٦٣ من سورة النور كذلك أوصى الله تعالى بمراعاة الاحترام

والتأدب عند ذكر اسم النبي، ونهى عن ذكر اسمه بصورة غير مؤدّبة، وحث على ذكره بعنوانه، ومقامه عند مناداته، ومخاطبته.

إنّ المحافظة على العمل - أهمّ من العمل نفسه - فإن أعمالنا قد تكون باطلة من البداية، لكونها اقترنت بالرياء والتظاهر.

وقد تبطل في أثناء العمل وتفسد إذا طرأ عليها العجب والغرور.

وقد تبطل بعد الانتهاء من العمل بسبب بعض الأعمال، وهذا هو ما يسمّى بحبط الأعمال ولهذا يقول القرآن: **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ** ^(٤).

ولم يقل تعالى: كل من فعل حسنة فله عشر أمثالها، لأن بين القيام بالعمل في الدنيا، وبين تقديمه إلى الله سبحانه يوم القيامة سليماً، مسافة كبرى.

قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ»** غرس الله بها شجرة في الجنة.

فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير.

قال: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها ^(٥)، ثم قرأ آية مختومة بقوله تعالى: **وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** ^(٥).

لقد علّق الله تعالى حبط العمل وبطلانه في موضع من القرآن على الكفر والشرك، وفي موضع آخر ربّبه على ترك الأدب في محضر رسول الله

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠ - سورة النمل، الآية: ٨٩ - سورة القصص، الآية: ٨٤.

(٢) جبار الأنوار: ج٨، ص١٨٧.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٣.

﴿ ﷺ ﴾ ومن هذا يتبين أن معصية عدم التأدب مع رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وعدم مراعاة الأدب في محضره يعادل معصية الكفر والشرك، لأن مآل كليهما من حيث النتيجة هو الحبط والبطلان والضياع.

لقد رفع رجل من الصحابة - غفلةً - صوته على صوت رسول الله ﴿ ﷺ ﴾، ولكي لا يتسبب هذا الموقف في حبط أعماله تحدث رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ بصوت أعلى من صوت ذلك الصحابي^(٤).

إنَّ رفع الصوت فوق صوت النبي ﴿ ﷺ ﴾ من قبل المؤمنين يكون سبباً لحبط أعمالهم، إلا أن الأمر هذا يختلف بالنسبة لمن لم يكن يعرف النبي ﴿ ﷺ ﴾، لأن العلم والقصد شرطان في صدق عنوان الإهانة.

لما نزلت الآية الحاضرة فُقدَ أحد صحابة النبي ﴿ ﷺ ﴾ لأنه كان جهوري الصوت، فتفقدته رسول الله ﴿ ﷺ ﴾، ولما حضر سأله فقال: يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإنِّي رجل جهير الصوت، فأخاف أن يكون عملي قد حبط.

فقال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾: لست هناك «أي لا بأس في ذلك لأنك خطيب، وقد رفعت صوتك للخطابة فحسابك يختلف عن الآخرين»^(٥).

فإذا استعلمنا - في المثل - بعض الصحف التي تدرج فيها الآيات القرآنية المباركة من دون أن نعلم بذلك، ومن دون قصد الإهانة لم يعد ذلك إهانة.

(١) بحار الأنوار: ج٩، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢) الكشف: ج٤، ص٣٥٢.

لقد جاء في قوله تعالى: في الآية الراهنة **أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** وهي تفيد أن الحبط وبطلان الأعمال يحصل من دون أن يشعر أصحابه به، والعلة في ذلك هي أن الآفات والآثار السيئة التي تلحق العمل لا ترتبط بعلمنا وجهلنا، بل هي تخلق به طبيعياً، علمنا بذلك أو لم نعلم، وشعرنا بذلك أو لم نشعر.

فلو شرب شخص الخمر سكر لا محالة، وإن تصوره ماء، وكذا من مسَّ سلكاً كهربائياً مكشوفاً صعق به، وإن تخيَّله سلكاً عادياً وخالياً من الطاقة الكهربائية.

إن بعض الذنوب والمعاصي تسبب ظهور القحط والجذب والزلازل، وقصر الاعمار، والذلة إن لم يعلم الإنسان بظهور هذه الآثار ووقوعها، فعلى هذا الأساس يكون عدم رعاية الأدب في محضر النبي ﷺ سبباً لحبط الأعمال وبطلانها، وتبخُّرها وأن لم يشعر الإنسان نفسه بذلك الأثر السلبي.

دروس وبصائر:

١ - من أجل تعليم الناس قواعد السلوك والأدب يجب علينا نحن أيضاً أن نخاطب الآخرين بلهجة مؤدبة ومهذبة ولهذا نادى الله سبحانه الناس وخاطبهم في هذه الآية بأدب حيث قال: «يا أيها الذين آمنوا».

٢ - إن هناك حقوقاً ومزايا معنوية عالية لقيادة الأمة الإسلامية يجب أن يراعيها الجميع، إلى درجة أنه إذا كان الشخص في حالة التحدث والتكلم مع القائد لم يجر له رفع الصوت على صوته، وإذا كان ساكناً وكنا نحادثه وجب علينا أيضاً أن لا نتحدث بصوت مرتفع في محضره: «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي».

أجل إن مقام النبوة يفرض علينا جملة من المسؤوليات.

٣ - إن الأمر والتوصية باحترام الآخرين إنما يكون جميلاً إذا كان بلسان الآخرين (ففي هذه الآية لم يقل النبي ﷺ: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوتي، بل جاءت هذه التوصية من جانب الله سبحانه) حيث قال تعالى: «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي».

٤ - إنَّ لمكانة الأشخاص وموقعهم أثراً في عملهم (فالتجاسر من جانب المؤمن على النبي ﷺ له حساب خاص ومختلف: «يا أيُّها الذين آمنوا... أن تحبط أعمالكم».

٥ - قد يقطع الإنسان جذور نفسه بنفسه وهو لا يشعر «أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون».

المقدّسات في الإسلام:

في جميع المجتمعات والشرائع في العالم يقوم الناس باحترام خاص لشخصياتهم، فهم يطلقون أسماءهم على المدن والشوارع والجامعات والمطارات والمدارس والمؤسسات، وفي الإسلام هناك أيضاً أفراد وساعات وأمكنة وحتى بعض النباتات والجمادات تحظى بالقداسة، والحرمة، غير أن سبب القداسة ومنشأ الكرامة في جميع هذه الأشياء في الإسلام هو الارتباط بالذات الإلهية المقدّسة، وكلّما كان ارتباط الأشياء بذلك أكثر كانت قداسته أعلى وأكثر، ويجب علينا أن نحافظ على حرمة الخاصة.

أما تلك المقدسات فهي:

١. الذات الإلهية المقدسة وهي منشأ القداسة.

أما المشركون الذين يسيّون الآخرين بالله تعالى فسيقرون يوم القيامة بانحرافهم، وسيقولون لمعبوداتهم الباطلة: إن سبب ما نحن فيه من العذاب والشقاء هو أننا كنّا نسأوي بينكم وبين الله، **تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ * اِذْ سُوِيْكُمْ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ** (٤).

هناك حديث كثير ومكرر عن تسبيح الله سبحانه في ثنايا القرآن الكريم وهذا يعني أنّ علينا أن ننزه الله تعالى ونقدسه، ونوقره ونحترمه، ونعتقد بأنه منزّه عن كل نقص، لا ذاته فقط، بل وأسماءه أيضاً: **سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** (٤).

٢ - كتاب الله تعالى، فإن له أيضاً قداسة وحرمة خاصة لأن القرآن نفسه يصف نفسه بالعظمة إذ يقول: **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** (٥) إذا يجب أن نعظم هذا الكتاب ونحمله ونحترمه.

وعندما يصف القرآن نفسه بأنه كريم (٥) يجب علينا أن نكرّمه نحن أيضاً، وعندما يصف القرآن نفسه بأنه مجيد (١) يجب علينا أيضاً أن نمجده ونحترمه.

٣ - القادة الإلهيون، فإن لجميع أنبياء الله وأوصيائهم، وبخاصة رسول الله ﷺ وأهل بيته مكانة خاصّة، وقد أشير إلى بعض الآداب التي يجب أن تراعى مع النبي في هذه السورة، ومنها أن لا نرفع أصواتنا فوق صوته.

لقد أمرنا - في القرآن الكريم - بالصلاة على رسول الله (١).

(١) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧٧ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**

(٤) سورة ق، الآية: ١ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ **ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ** "

طبعاً يجب أن ننتبه إلى هذه النقطة وهي أن النبي ﷺ مع أنه راحل عنا إلا أن احترامه في هذه الحالة، واحترام أوصيائه وذريته ومن ينتمي وينتسب إليه بنوع من الانتماء، والانتساب ونخص بالذكر منهم العلماء الربانيين والفقهاء العدول، ومراجع الدين والتقليد - هم بحسب جملة من الأحاديث خلفاؤه - أمر حتمي ولازم علينا كما هو أمر لازم وحتمي علينا حال حياته^(٤).

نحن نقرأ في الحديث أن الرادّ على الفقيه العادل كالرادّ على أهل بيت النبي ﷺ، والرد عليهم كالرادّ على الله^(٥) فمن رد على الفقهاء العدول كلامهم يكون كالرادّ على كلام الله سبحانه.

ليست ذات النبي فقط تحظى بالكرامة والقداسة، بل كل ما يرتبط بالأنبياء يحظى كذلك بالقداسة والكرامة، فها نحن نقرأ في القرآن أن الصندوق الذي وضع فيه موسى ﷺ كان وليداً والقي في البحر، ثم صار فيما بعد مواريث موسى عند آل موسى، صار مقدساً عند بني إسرائيل إلى درجة أنه^(٦) كان مبعث السكينة عندهم فكانوا يصطحبونه في أسفارهم وكانت الملائكة تحمله.

(١) لقد وردت في كتب متعددة مثل كتاب (تبرك الصحابة) بقلم آية الله الأحمدى الميانه جي عشرات

النماذج من احترام الصحابة لرسول الله ﷺ في زمان حياته وبعد مماته.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٢٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨ يقول تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ

٤ - يحظى الوالدان - في الإسلام - بكرامة ومنزلة خاصة، فقد وردت الوصية بالإحسان بالوالدين في القرآن خمس مرّات، بعد الوصية والأمر بعبادة الله الواحد^(٤) وبالشكر لهما إلى جانب الشكر لله تعالى^(٥).

ولقد بلغ التأكيد على احترام الوالدين إلى درجة أنه اعتبر النظر برحمة إلى الوالدين عبادة، وقد أمرنا أن لا نرفع صوتنا فوق صوتهما. بل ويحرم سفرنا إذا كان ذلك موجباً لأذاهم، ووجب أن تتم صلاتنا في مثل هذا السفر، كما ونهي ان يتزوج الشخص المرأة التي كانت في يوم ما زوجةً لوالده.

٥ - لقد قدّست في القرآن الكريم بعض الأزمنة والأوقات كليلة القدر، وبعض الأماكن مثل المسجد وبعض الأحجار كالحجر الأسود، وبعض أقسام التربة كتربة الإمام الحسين عليه السلام وبعض النباتات كالزيتون، وبعض الأسفار كالمعراج والرحلات العلمية والعبادية والسفر من أجل القيام بالأعمال الخيرية والجهادية، كما قدّست بعض الألبسة كثياب الإحرام، ويجب علينا أن نقبل هذا التكريم والتقدير الخاص الذي حظيت به هذه الأمور.

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٢. سورة النساء، الآية: ٣٦. سورة الأنعام، الآية: ١٥١. سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

سورة الأحتاف، الآية: ١٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

فمثلاً نقرأ في القرآن الكريم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أمر بخلع نعليه لأنه حل في الوادي المقدس: فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى^(٤).

كما نقرأ أَنَّ الْمُشْرِكَ لا يحق له الدخول في المسجد الحرام: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ^(٥).

وقد أمرنا في آية أخرى أَنْ نَتَزَيَّنَ وَنَتَجَمَّلَ إِذَا أَرَدْنَا الدَّخُولَ فِي الْمَسْجِدِ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ^(٦).

كما لا يحق للجنب التوقف في المسجد وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ^(١).

إن المسجد مكان محترم، وهو يحظى بالكرامة والأهمية بحيث أمرت شخصيات عظيمة كالنبيِّ إبراهيم، وإسماعيل وزكريا ومريم عليهن السلام بخدمته، وطلب منهم تنظيفه وتطهيره: طَهِّرَا بَيْتِيَ^(١) بل حتى أَنَّ مَرْيَمَ الطَّاهِرَةَ (عليها السلام) لما ظنَّت - وهي حامل - أَنَّ جَنِينَهَا ذَكَرَ وَلَيْسَ أَنتَى نَذَرَتْ - إن صدق ظنُّها - أَنَّ تَجْعَلُهُ بَعْدَ الْوِلَادَةِ وَالرَّشْدِ، خَادِمًا لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فقالت: إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا^(١).

٦ - إن الإنسان المؤمن هو الآخر يحظى بالحرمة والكرامة، إلى درجة أن

(١) سورة طه، الآية: ١٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

حرمة عرضه تفوق حرمة الكعبة، وإلى درجة أنه يحرم اغتيابه، ويجب الدفاع عنه، بل يحرم نبش قبره بعد الموت أيضاً.

وإذا كانت إقامة الصلاة فرادى في مكان تقوم فيه جماعة موجبة لتوهين إمامها بطلت تلك الصلاة.

٧- إنَّ الإسلام أولى حتى بعض غير المسلمين باحترام خاص. وها هو النبيُّ الكريم ﷺ فإذا استجاب زعيم قومٍ لمطلبه احترامه، واستبقاه في منصبه، فضلاً عما إذا آمن وأسلم.

بل ويحترم الأسير إذا كان من عائلة كريمة ويحسب له حساباً خاصاً، كما صنع بالنسبة إلى السيدة شهربانو بنت يزدجرد ملك إيران، وابن حاتم الطائي المعروف بسخائه والذي أسر فيمن أسر، فقد أولاه رسول الإسلام ﷺ احتراماً خاصاً.

أجل إنَّ في ثقافة الشعوب قاطبة - وكما أسلفنا - أشياء وأموراً مقدسة، كدستور البلاد وعلمها، والشخصيات العلمية والثورية، والفنية فهي تحظى بالإحترام لدى الشعوب.

على أنه لا بدَّ من تجنُّب القداسات الباطلة، لأن التاريخ شهد أشخاصاً دجالين روجوا لأموالهم باطلة كالسامري الذي صنع عجللاً له خوار، وأضفى عليه هالة من القدسية المختلفة، ربَّ ملوك استأجروا علماء وشُعراء وأصحاب أقلام ليثنوا عليهم، ويطهروهم ويقدِّسوهم.

احترام أولياء الله:

لقد كان أولياء الله أشدّ النَّاسِ احتراماً للمقدسات وأكثرهم التزاماً برعايتها، وإليك نماذج من ذلك:

أ - عندما كان رسول الله ﷺ حياً لم يلقِ الإمام عليّ عليه السلام أي خطاب، احتراماً للنبي ﷺ، وتأدباً معه.

ب - فيما كان رسول الله ﷺ يؤم الجماعة في الصلاة شاهد بصاقاً على جدار المسجد فقطع قراءته وتقدّم قليلاً (من دون أن ينحرف عن القبلة) وأزال ذلك الشيء بغصن من الشجر ثم رجع إلى الورا واستمر في صلاته.

ج - عندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن أخاه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام أعطى لفقير ١٠٠ درهماً، أعطى هو لذلك الفقير ٩٩ درهماً أي أقلّ مما أعطاه أخوه الأكبر احتراماً.

د - عندما سمع الإمام الرضا عليه السلام اسم الإمام المهدي عليه السلام قام فوراً (مع أن الإمام المهدي عليه السلام لم يكن قد ولد بعد).

هـ - ذات يوم وفي بيت آية الله العظمى السيد البروجردي (قده)
(وقد كان من مراجع الشيعة الكبار) نادى أحد الحاضرين لدى
رؤيته للسيد البروجردي قائلاً: من أجل سلامة إمام الزمان
وأيضاً من أجل سلامة آية الله البروجردي صلّوا على محمد
وآل محمد.

فانزعج السيد البروجردي وقال في غضب شديد: «لم لا تراعون
حدود الأشخاص ومراتبهم ولم جعلتم اسمي إلى جانب اسم إمام العصر
عليه السلام؟».

إذن لا بدّ من الانتباه إلى أن درجات الكرامة ومراتب القداسة متفاوتة،
ولكلّ شيء مرتبة خاصة من الكرامة والحرمة، ودرجة معينة من القداسة
تناسبه.

الحبط وبطلان الأعمال:

إن الآية الثانية من سورة الحجرات تعتبر رفع الصوت في مجلس رسول الله ﷺ سبباً لبطلان الأعمال وهو ما يسمى بالحبط إذ قال تعالى ... لَا تَرْفَعُوهُ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ... أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ .
ولهذا يجدر بنا أن تكون لنا وقفة لتوضيح معنى الإحباط .

«الحبط» في اللغة يعني الفساد والبطلان.

فكما أن الأغذية والأدوية والبرد والحر والماء والنار يؤثر بعضها في بعض ويبطل بعضها مفعول البعض الآخر، كذلك أعمال الإنسان يؤثر بعضها في بعض أيضاً، وإليك مثالان في هذا المجال :

أ - إذا أقدم عامل خدم في مؤسسة عشرين سنة بجِد وإخلاص، على قتل ابن صاحب تلك المؤسسة ذات يوم أبطلت جريمته هذه، كل خدماته السابقة وأنت على جميع سوابقه المشرقة، وهذا هو ما يسمى بحبط العمل .

أمّا إذا أقدم عامل أتعب رب عمله طوال عشرين عاماً، على إنقاذ ابن صاحب المعمل ذات يوم من الغرق، فإن خدمته هذه تزيل كل المتاعب النفسية

التي سببها لأصحاب عمله، طوال مدة خدمته، وتغسل ماران بسبب تصرفاته على قلبه، وهذا هو ما يسمى بالتكفير، ومنه لفظ الكفارة، لفظاً ومعنى .

بعد الوقوف على هذين المثالين نقول: إن المسائل والقضايا المعنوية، وإن أعمال الإنسان وتصرفاته هي أيضاً يؤثّر بعضها على بعض وينقض بعضها بعضاً .

وها نحن نشير إلى بعض ما يطرحه القرآن الكريم من نماذج في هذا المجال .

١ - الكفر والإرتداد والصدّ عن سبيل الله ومحاربة النبي ﷺ ومحاددته كلها تحبط الأعمال^(٤) .

٢ - الذين يرتكبون ما يسخط الله سبحانه من الأعمال ويكرهون ما يرضي الله تعالى من الأعمال أولئك حبطت أعمالهم^(٥) .

٣ - الشرك والنفاق والإقبال على الدنيا، وقتل الأنبياء، وقتل الأمرين بالقسط من الناس كل ذلك من عوامل الإحباط، ومن أسباب بطلان الأعمال^(٥) .

٤ - المن على من ساعدناهم، وأحسننا إليهم من عوامل الإحباط وبطلان العمل^(١) .

٥ - الرياء والعجب مما يبطل الأعمال ويحبطها .

(١) سورة محمد، الآية: ٣٤ .

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٨ .

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٥ - سورة التوبة، الآية: ٦٩ - سورة هود، الآية: ١٦ - سورة آل عمران، الآية: ٢٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤ .

بطلان الأعمال في الأحاديث:

والآن لندرس مسألة الإحباط في ضوء الأحاديث والروايات، لنرى أي عمل يوجب حبط العمل الصالح وبطلانه وفساده.
 هنا - نرى - أيضاً - كيف اعتبرت بعض القضايا العقيدية والعبادية والعائلية والاجتماعية والسياسية والنفسية من عوامل الإحباط، ووصفت على أنها أمور توجب بطلان الأعمال الصالحة المتقدمة.
 وها نحن نشير إلى هذه الأمور واحدة واحدة:

- ١ - القضايا العقيدية: مثل بغض الأئمة المعصومين عليهم السلام ومعاداتهم ^(٤).
- ٢ - الأمور العبادية: مثل ترك الصلاة من دون عذر ^(٥)، فقد سئل الإمام عليه السلام - في حديث مفصّل - عن الكبائر لم لم تذكر ترك الصلاة في عداد الكبائر وقد عدت منها أكل مال اليتيم؟ فقال عليه السلام: «إن تارك الصلاة من غير علة كافر».
- ٣ - الأمور العائلية: قال الإمام الصادق عليه السلام: «أبما امرأة قالت لزوجها:

(١) بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٩٨.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٨٦.

ما رأيت قط من وجهك خيراً فقد حبط عملها»^(٤).

٤ - الأمور الاجتماعية: قال رسول الله ﷺ: «من غسل مِيْتاً فأدى فيه الأمانة كان له بكل شعرة منه عتق رقبة، ورفع له مائة درجة».

قيل يا رسول الله: وكيف يؤدي الأمانة؟!

قال: «يستر عورته ويستر شينته، وإن لم يستر عورته وشينه حبط أجره وكشفت عورته في الدنيا والآخرة»^(٥).

٥ - الأمور السياسية: قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «في قوله تعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»^(٦) (أي إن الارتداد يحبط العمل ويبطله): الإيمان في بطن القرآن علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن كفر بولايته فقد حبط عمله»^(٧).

- الأمور النفسية: قال الإمام الصادق عليه السلام: «من شك أو ظن فأقام على أحدهما فقد حبط عمله»^(٨).

بعد أن سلطنا الضوء على الآثار السلبية لبعض الأعمال أن الأوان لأن نسلط الضوء على الآثار الايجابية لبعض الأعمال الأخرى ليتضح كيف يمكن للإنسان أن يستر بأعماله الطيبة أعماله السيئة، أو يبدل سيئاته حسنات.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٤٤٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢، ص٣٩٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٥، ص٢٤٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٤٠.

فقد ورد في القرآن الكريم أنّ الإيمان والعمل الصالح، والتقوى، والصدقة السرية، ومساعدة الفقراء خفية، والتوبة، والاجتناب عن الكبائر من الذنوب، والصلاة والزكاة، والقرض الحسن، والهجرة، والجهاد، من موجبات التكفير، أي إنها تكون من الأمور التي تسبّب ذهاب الأعمال السيئة وبطلانها^(٤).

يقول القرآن الكريم في هذا المجال: **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**^(٥).

من الواضح بجلاء أن إساءة الأدب مع النبي ﷺ لما هو عليه من المنزلة الرفيعة - موجب لحبط العمل وبطلانه، ولكن القرآن يوصينا بأن نتحدث مع جميع الناس بصوت منخفض، فهذا هو لقمان يوصي ابنه - كما في القرآن الكريم - بذلك قائلاً له: **وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ** ثم يشبه الصوت المرتفع بصوت الحمير قائلاً: **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**^(٥).

إن تلوث البيئية في مجال الصوت اليوم هو - كما نعرف - من مشاكل المجتمع البشري في عصر المدنية الحديثة، ورفع الصوت هذا قد يكون بسبب العرس، وقد يكون في المسجد، وقد يكون في أرض الملعب، تارة يكون في قالب البيع والشراء، سبباً لسلب الهدوء والراحة من الناس، نعم

(١) راجع الآيات التالية: سورة البقرة، الآية: ٢٧١ - سورة الأنفال، الآية: ٢٩، سورة الطلاق، الآية: ٥ - سورة التباين، الآية: ٩ - سورة التحريم، الآية: ٨ - سورة النساء، الآية: ٣١ - سورة هود، الآية: ١١٤ - سورة آل عمران، الآية: ١٩٥ - سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

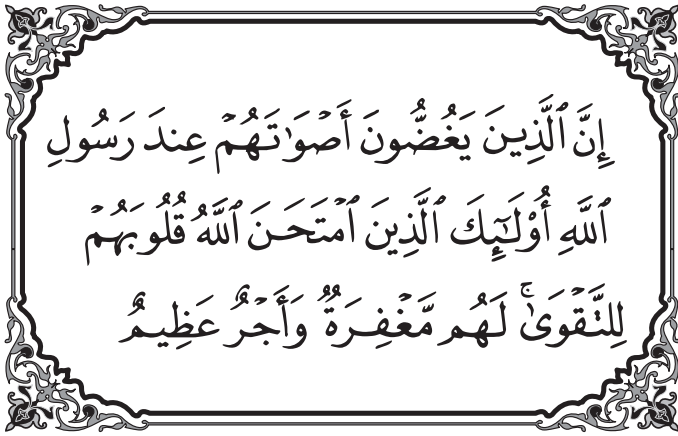
(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٩.

إن الإسلام يسمح لنا برفع الصوت والصرخ في عدة مواضع، فمثلاً: عند رفع الأذان، حيث يجبّذ أن يكون بصوت عال وحسن، ومن دون مقدمات، أو رفع الصوت بالتلبية بالنسبة إلى حجاج بيت الله الحرام حيث يستحب لهم كلما رأوا قافلة أن يكرروا هذه التلبية: «لبيك اللهم لبيك...».

وعلى كل حال فإنه لا يسمح لنا - إلا في حالات قليلة ونادرة - أن نرفع الصوت فضلاً عن أن يقرن الصوت العالي بصيغة تهديدية أيضاً، ففي هذه الصورة مضافاً إلى كون هذا العمل يعد عملاً غير مهذب، فإنه يعتبر ترويعاً وإخافة للمؤمن، وهو من دون شك عمل مخالف للشرع ويستتبع عقاباً.

الآية ٣



نقاط وتأملات:

لفظة «غَضَّ» تعني الخفض والنزول من فوق إلى تحت، وغَضَّ صوته أي خفض صوته ولم يرفعه، وهو علامة الأدب وآية التواضع، والوقار، والهدوء، والرحمة والحبُّ.

يقول القرآن الكريم في هذه الآية: إن الله سبحانه يختبر قلوب

الأشخاص المؤدبين، ومن المعلوم أن الإختبار والإمتحان الإلهي ليس من أجل العلم بالأمر لأن الله تعالى يعرف كل شيء ويحيط بكل شيء علماً، بل الهدف من الإختبار هذا هو أن يظهر الإنسان قابلياته واستعداداته عند مواجهة المشاكل، وفي خضم المحن، ليصبح أهلاً لتلقي الأجر الإلهي وصالحاً للإستفادة من مواهب الله تعالى العليا، وذلك لأن الثواب والعقاب الإلهيين لا يكونان على أساس علم الله سبحانه، بل يكونان على أساس علم الله سبحانه، بل يكونان على أساس عمل الإنسان، ونوعية ممارساته، يعني إذا كان الله يعلم بأن فلاناً سيرتكب مستقبلاً جريمة معينة فإنه لا يعاقبه، إنما يعاقبه بعد أن يرتكبها.

والجدير بالذكر أن الإنسان نفسه لا يعطي لأحد أجراً على أساس معلوماته عنه، بمعنى أنه إذا علمنا أن هذا الخياط سيخيط لنا ثوباً فإننا لا نعطيه أجراً، بل يجب أن يخيط لنا ثوباً لنعطي له أجراً.

وعلى هذا فإن المراد من الإمتحان الإلهي في الآيات والأحاديث هو صدور أفعال من الإنسان ليستحقّ - بعد ذلك - ثوباً أو عقاباً.

ومن البديهي أن الإمتحان هنا - في هذه الآية - يرتبط بالقلب، إذ ما أكثر الأشخاص الذين يظهرون الأدب والتواضع، وهم متكبرون في باطنهم وفي قرارة أنفسهم.

إنّ الثوابات الإلهية وصفت دائماً - ولدى ذكرها - بصفات «الكرم» و«العظيم» و«الكبير» و«غير المنون» و«نعم الأجر» وهذا هو من أجل أن الثوابات الإلهية أساساً من رحمة الله ولطفه المطلق.

دروس وبصائر:

١ - أن نثيب المحسن ونعاقب المسيء دون فرق، وذلك حسب ما جاء في الآية السابقة، حيث أقدم البعض على رفع صوتهم فوق صوت النبي ﷺ فتم توبيخهم، والتنديد بهم.

وفي هذه الآية والآيات اللاحقة نجد الثناء على المؤدبين **إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ ... لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ...** أجل الثواب والعقاب معاً، جنباً إلى جنب.

٢ - الأدب الظاهري هو علامة حالة التقوى الباطنية «الذين يَغْضُونَ... امتحن الله قلوبهم للتقوى» يعني: أن الذين يخفضون أصواتهم يمتلكون في الحقيقة قلوباً متقية.

٣ - مع أننا لسنا اليوم في محضر رسول الله ﷺ، ولكن مسألة وجوب رعاية الأدب لدى زيادة مرقده المبارك، وكذا خلفائه الشرعيين، باقية على حالها.

٤ - إن رعاية الأدب بصورة غير دائمة، بل وبصورة مؤقتة وعابرة تنم عن

عدم التحلّي بالتقوى.

ويفهم هذا من قوله تعالى في الآية بصيغة المضارع «الذين يغضون أصواتهم» (فإن الفعل المضارع يعبر عن الإستمرارية والعمق).

٥ - في جميع الموارد التي وردت لفظة المغفرة والأجر في القرآن الكريم، جاء الحديث عن المغفرة أولاً، وذلك لأننا ما لم نتطهّر من الذنوب لا يمكن أن نصبح أهلاً لتلقّي الألفاظ الإلهية: ﴿لهم مغفرةٌ وأجر عظيم﴾.

أدب الحوار:

وحيث أن الحديث في هذه الآية يدور حول أدب الحوار، والتحدث مع رسول الله ﷺ يجدر بنا أن نشير نحن أيضاً إلى تعاليم الإسلام في هذا المجال .

١ - إن الكلام لا بد أن يقترن بالعمل والإستحقاق : لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٤).

٢ - إن الكلام يجب أن يكون عن تثبيت وتحقيق، قال الهدهد لما أتى بخبر إلى النبي سليمان عليه السلام : وَجِئْتُكَ مِنْ سَمَاوَاتٍ بَينِيْنَ (٤).

٣ - يجب أن يكون الكلام طيباً محبباً : الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ (٤).

٤ - يجب أن يكون الكلام غير خشن : قَوْلًا لِّئَلَّا (١).

(١) سورة الصف، الآية: ٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٤.

- ٥ - يجب أن يكون الكلام كلاماً كريماً: **قَوْلًا كَرِيمًا** (٤).
- ٦ - يجب أن يكون كلاماً قابلاً للتنفيذ: **قَوْلًا مَّيْسُورًا** (٤).
- ٧ - أن يكون كلامنا مع جميع الناس لا بعض الناس أو مع فرق معينة،
كلاماً حسناً **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** (٤).
- ٨ - أن نختار في الكلام أفضل المواضيع والأساليب: **يَقُولُوا لِّتِي هِيَ أَحْسَنُ** (١).
- ٩ - أن يخلو الكلام من أي لغو وباطل **وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** (١).
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (١).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الحج، الآية: ٢٠.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٢.

نماذج:

حيث أن هذه الآية تشني على الأشخاص الذين تأدبوا مع رسول الله ﷺ، فحفظوا أصواتهم عند التحدث معه، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، نشير فيما يلي إلى نموذجين من التعامل مع الأدب، وبما يخالف الأدب مما جاء في القرآن الكريم:

١ - عندما أكل آدم وزوجته حواء من الشجرة المنوعة رغم النهي، وتعرضا للعتاب والتوبيخ، خجلا من فعلهما، واعتذرا وتابا إلى الله سبحانه فقبل الله تعالى توبتهما، وقد كان هذا الإعتذار في حقيقته نوعاً من التآدب الذي كانت وراء قبول نداء آدم ﷺ وزوجته حواء.

٢ - لم يسجد إبليس لآدم ﷺ، فتعرض للقدح واللوم، ولكن الشيطان بدل أن يعتذر ويتوب أساء الأدب وقال: لم يكن عليّ أن أسجد، فأدم من التراب، وأنا من النار، والنار أعلى وأفضل من التراب. لقد اعتبر الشيطان أمر الله سبحانه بالسجود أمراً غير مبرر، وفي غير محله، ولأجل هذا استحق إبليس الأبدية.

ما يمتاز به الثواب الإلهي:

إن المثوبات البشرية، قصيرة الأمد، صغيرة، وسطحية، ومقرونة غالباً بالمنّ والأذى وغيرها من الآفات والمكدرات، وهذا بغض النظر عن أن غير الله (كالزوج والولد، والشريك والصديق، والحكومة، وغيرهم) كثيراً ما لا علم لهم بما نقوم به بصورة كاملة، لكي يعطونا أجراً مناسباً، بل وربما كانوا يحسدوننا، وتحت وطأة هذا الحسد يتجاهلون ما نقوم به، ويخلون بإعطاء ما نستحق من الثواب والأجر.

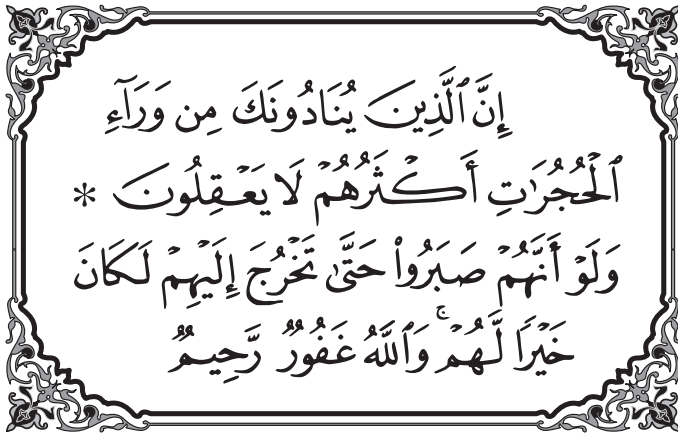
وقد لا يمكنهم إعطاء الثواب والأجر لفقدانهم ما يعطونه، أساساً. إنَّ غير الله - كائناً من كان - لا يقبل من الآخرين عملهم إذا كان ناقصاً معيباً، هذا بغض النظر عن أن الثواب والأجر الذي يعطيه البشر ربما يتلخّص في مجرد تصفيق أو إطلاق صفير، أو رفع شعار الصلوات... لا غير.

أما الله تعالى فهو يقبل العمل ولو كان قليلاً: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» كما أنه يقبل المعيب من العمل كما جاء ذلك في تعقيبات الصلوات اليومية: «إلهي إن كان فيها (أي في صلاتي) خلل أو نقص من

ركوعها أو سجودها فلا تؤاخذني وتفضل عليّ بالقبول والغفران». إنَّ الله تعالى يستر العيوب ويظهر ما هو جميل «يا من أظهر الجميل، وستر القبيح».

أخيراً، فإنَّ الله يشتري أعمالنا ويجعل ثمنه الجنَّة الخالدة، أما الآخرون فرما يكتفون بأن يبادلوننا بالأحاسيس والمشاعر العابرة.

الآيتان ٤ و ٥



نقاط وتأملات:

إنَّ مسألة مناداة رسول الله ﷺ من وراء الحجرات ليست مطروحة اليوم، ولكن الدرس والقانون المستفاد من هذه الواقعة مفيد لنا، لأننا نقرأ في تفسير «روح المعاني» إنَّ ابن عباس كان يذهب إلى أستاذه في بيته لأخذ العلم عنه، فيقف عند الباب، ولا يدق الباب عليه إلى أن يخرج، ف قيل له:

هلا دقت الباب يا ابن عباس فقرأ الآية الحاضرة **وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ** ^(٤).

هكذا نشاهد كيف أن ابن عباس يستخرج من هذه الآية التي نزلت في حق رسول الله ﷺ درساً لجميع العصور ولجميع الأجيال.

أجل لا يقولنَّ أحد أن أبا لهب ليس موجوداً اليوم، فما معنى قوله تعالى: **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ... بحجة أن هذه الآية تخصَّ شخصاً معيناً مذكوراً بالاسم.

فنقول: صحيح أن هذه الآية تذكر شخصاً خاصاً وهو غير موجود الآن، إلا أن الهدف هو ذكر طريقة تفكير ذلك الشخص وأعماله، فقد كان أبو لهب كافراً وصادقاً عن سبيل الله، ولقد ندَّد به من أجل هذا الموقف المشين، وإننا إذا قلنا اليوم: **«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ»** فإن مقصودنا هو: قطعت يدا من يقصد المسلمين بسوء، وخابت جهود من يصدُّ عن سبيل الله سبحانه، ويعرقل مسيرة الحق.

إن الحجرات التي كانت في بيت رسول الله ﷺ وهي تسعة كانت مبنية من سعف النخيل، وكان على باب كل واحدة منها ستار من شعر المعز، وكانت مساحة كل واحدة منها ما يقرب من ١٠ أذرع طولاً (أي حوالي خمسة أمتار) وارتفاعها ما يقرب من ٧ إلى ٧ أذرع (أي حوالي أربعة أمتار).

(١) تفسير روح المعاني: ج ٢٦، ص ١٢٤١، عند تفسير الآية الحاضرة.

هذه الحجرات هدمت في عهد عبد الملك بن مروان الأموي، وأدخلت في المسجد النبوي، وقد ضجّ الناس وعلت أصواتهم بالبكاء، وكان سعيد بن المسيّب يقول: والله لو ددت أنهم تركوها على حالها^(١) ويقصد بها حجرات النبي ﷺ.

(١) وفاء الوفاء: للسهمودي، ج٢، ص٥١٧.

دروس وبصائر:

- ١ - يجب أن نراعي مكانة الأشخاص وشؤونهم (فالنداء من وراء الجدران والضغط النفسي يخرج رسول الله ﷺ وفرض الطلبات الشخصية عليه أمر لا يناسب شأنه ﷺ) «... ينادونك من وراء الحجرات».
- ٢ - ليس من الصحيح أن يوصف عامة الناس بعدم الفهم والجهل في ضوء موقف واحد غير مؤدب، إنما كان الذين جرت عادتهم على أن ينادوا النبي من خلف الجدران والحجرات هم وحدهم الجهلة: «ينادونك» (الفعل المضارع يفيد الإستمرار المشعر بجهل الفاعل).
- ٣ - لا بدّ من فرز حساب الأشخاص الذين اعتادوا على التكلم بصوت عالٍ (وليس بسبب الإهانة والتحقير) عن حساب عديمي الأدب والمغرضين: «أكثرهم لا يعقلون». (فربما ينادي أحدنا ولده بصيغة بسيطة ومن غير ألقاب ومن المعلوم أننا لا نريد بهذا الإساءة إليه).
- ٤ - إنّ النداء من وراء الجدار ومن وراء الحجرات وعدم مراعاة الأدب في

التعامل مع القائد الإلهي دليل على الجهل، وعلامة من علائم عدم العقل «ينادونك... لا يعقلون».

٥ - كل من حظي بعقل أقوى وفهم أكمل كان تأدبه أكثر: «الذين ينادونك... أكثرهم لا يعقلون» قال الإمام علي عليه السلام: «لا عقل لمن لا أدب له»^(١).

٦ - إن من طرق الإصلاح والتربية، الانتقاد والتوبيخ لمرتكبي المخالفات: «الذين ينادونك... أكثرهم لا يعقلون».

٧ - كلما تكررت المخالفة والمعصية استوجبنا تكرار التوبيخ والتنديد، ويفهم هذا من استخدام صيغة المضارع «ينادونك... لا يعقلون».

٨ - يجب احترام برامج الآخرين، وأوقات فراغهم، كما أن النبي بحاجة إلى الهدوء والراحة، ومعالجة أموره العائلية، وليس من الصحيح أن يزاحمه المسلمون في كل لحظة وكل وقت: «ولو أنهم صبروا...» وهذا يعني أن المزاحمة والإستعجال والمطالبات واستخدام الضغط والهيجان ممنوع).

٩ - إن الصبر والتريث علامة الأدب «... صَبَرُوا حَتَّى تَخْرَجَ».

١٠ - إن تنظيم لقاءات الناس بالقيادة هو من شؤون القيادة: «حَتَّى تَخْرَجَ إِلَيْهِمْ».

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للإمام علي عليه السلام.

١١ - كان الرسول الأكرم ﷺ قد رتب ونظم أوقات اللقاء مع الناس، فلا حاجة إلى النداء والصراخ من وراء الحجرات.

١٢ - ينبغي معاملة الأشخاص غير المؤدبين والجهلاء والبلهاء بالعفو، والصفح رحمة بهم، ولعدم تيئيسهم، فإنَّ الله تعالى مع أنه ويخِّ الأشخاص الذين نادوا رسول الله ﷺ بغير أدب طرح أموراً كالصبر والمغفرة والرحمة، لكي لا ييأسوا، ولكي يكون ذلك فرصة لهم من أجل تغيير سلوكهم: «لو أنَّهم صَبَرُوا... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

الآية ٦



نقاط وتأمّلات:

سؤال: في هذه الآية نجد أمراً بالتحقيق والتثبت، ولكن في الآية ١٢ من هذه السورة حرّم التجسّس في أمور الناس فهل يمكن أن يكون شيء واحد واجباً وحرماً، معاً؟

الجواب: إنّ الفحص والتجسس في حياة الآخرين إنّما يكون حراماً وممنوعاً إذا كان في التصرفات الشخصية إتجاه الأشخاص، مما لا يرتبط

بالحياة الإجتماعية وأمنها، ولكن إذا ارتبط الأمر بالمجتمع، وكان مما قد يتهدده من مخاطر، وأردنا اتخاذ موقف علمي منه، كان عدم التحقيق والفحص، والتبين والتثبت بحجة احترام الأشخاص، مما يعرض المجتمع للفتنة والإضطراب.

دروس وبصائر:

يمكن اتخاذ دروس هامة من هذه الآية نشير فيما يأتي إلى بعضها:

١ - كلما وجهت أمراً إلى أحد فخطبه باحترام: «يا أيها الذين آمنوا...».

٢ - لم يكن جميع صحابة النبي ﷺ عدولاً بل كان بينهم الفاسق والمنافق: «إن جاءكم فاسق...».

٣ - لا مانع من فضح الأشخاص الذين لا يهمهم إلا إلقاء الفتنة: «إن جاءكم فاسق...» (ولا بد من التذكير بأن المراد من الفاسق في هذه الآية هو الوليد بن عقبة).

٤ - يرى الإسلام أن أصلاً مهماً في الحياة الاجتماعية هو الثقة بالناس، أما حساب من فسقه ظاهراً بين فيختلف حتماً عن حساب الناس العاديين: «إن جاءكم فاسق...».

٥ - إن أرضية الحوادث شيثان: جهد الفاسق، وإصغاء المؤمن وقبوله السريع له: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق...».

٦ - نحن وإن كنا لا نرغب في استخبار الفاسق، وطلب ما عنده من أخبار

ولكن الفسقة هم الذين يسعون إلينا ويحاولون نشر أخبارهم بيننا:
«جاءكم...».

٧ - ليس كل خبر يحتاج إلى التثبت والتحقق (لأن النبأ يطلق على الخبر المهم والمفيد الذي يحتاج إلى التحقيق والتثبت والفحص والتأكد).

٨ - إن الإيمان لا يتناسب مع التسرع في قبول الخبر من دون تحقيق:
«أمنوا... فتبينوا».

٩ - لا تتأخروا في التحقيق والفحص في الخبر: «فتبينوا» فحرف الفاء علامة الإقدام السريع.

١٠ - إن المجتمع الإسلامي عرضة لكل هجوم خبري، وعلى الناس أن يكونوا أذكياء وحذرين، وأهل تحقيق وتثبت في الأمور: «إن جاءكم... فتبينوا».

١١ - حيث إن الفاسق قد يصدق أحياناً، ولهذا لا ينبغي تكذيب حديثه دائماً، بل يجب التحقق والتثبت من خبره «فتبينوا».

١٢ - علاج المفاسد والأدواء الاجتماعية إنما يتهيأ بيقظة الأمة الإسلامية «فتبينوا».

١٣ - لا بد أن نردع الفاسق بالتحقيق في خبره، والتثبت من كلامه، وينبغي أن لا ندع الفسقة يملكون زمام المبادرة، ويقودون الساحة

كيفما يريدون في المجتمع الإسلامي، ويجب أن نصيِّق عليهم الطريق.
«فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً».

١٤ - في مجال الإدارة يجب علاج الواقعة قبل وقوعها، في البداية يكون التحقيق ثم يتم الإقدام. **«فتبيّنوا أن تصيبوا».**

١٥ - بيان فلسفة الأحكام الإلهية والكشف عن حكمتها يزيد من رغبة الناس في القيام بالأوامر الدينية (وفلسفة وحكمة التحقيق والتثبت من الأخبار هو اجتناب وقوع الفتنة في المجتمع): **«فتبيّنوا أن تصيبوا».**

١٦ - إن هدف المخبرين الفسقة هو إيجاد الفرقة والفتنة، والإخلال بالأمن في المجتمع: **«أن تصيبوا قوماً بجهالة».**

١٧ - الإقدام على أساس خبر غير متحقق منه يمكن أن يعرّض جماعة لخطر الفناء **«أن تصيبوا قوماً».**

١٨ - الإقدام العجول ومن دون التحقيق والتثبت هو ضرب من الجهالة **«أن تصيبوا قوماً بجهالة».**

١٩ - العمل بالأوامر الإلهية يمنع من الندم، فلنتحقق من الأخبار الواردة حتى لا نقع في الندامة **«فتبيّنوا... نادمين».**

٢٠ - نتيجة العمل غير المدروس بعناية هي الندامة: **«... نادمين».**

ما هو الفسق ومن هو الفاسق؟

في هذه الآية (وهي السادسة من سورة الحجرات) يوصي الله تعالى المسلمين بأنه جاءهم فاسق بخبر مهم كان عليهم أن يحققوا فيه، ويتثبتوا منه، فلنعرف هنا ما هو الفسق؟ ومن هو الفاسق؟ وما هي الطرق التي تساعدنا على تمييز النبأ الكاذب عن النبأ الصادق.

«الفسق» في اللغة هو الانفصال والخروج، وفي اصطلاح القرآن يعني الفسق: الخروج عن الدين، والابتعاد عن الطريق المستقيم. وهذه الكلمة تستخدم في من يرتكب الإثم، ويُطلق عنوان الفاسق على من يرتكب الذنوب الكبيرة ولم يتب.

وقد وردت لفظة «الفسق» في قوالب وصيغ مختلفة ومتنوعة ٥٤ مرة في القرآن الكريم، واستخدمت أو بالأحرى أطلقت على أفعال وحالات منها:

١ - قد يطلق هذا الوصف في مجال الإنحراف الفكري والعقائدي، كما جاء في شأن فرعون وقومه **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** (٤).

٢ - قد يطلق هذا الوصف على المنافق صاحب الوجوه المتعددة:

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(٤).

٣ - قد يطلق هذا الوصف على من يتعرّض بالأذى للأنبياء، وعلى المتمردين

على تعاليمهم، وأوامرهم (لقد وصف القرآن بني إسرائيل الذين لم يأتمروا بأمر موسى ﷺ وكانوا يؤذونه، بالفاسين): قَالَ أَيْمُوسَىٰ إِنَّ لَنَا نَدْخُلَهَا... الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ^(٥).

٤ - وقد يطلق وصف الفاسق على المحتالين بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ^(٦).

٥ - وأحياناً يوصف من يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنهم

الفسقة: أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ^(١).

٦ - وقد يسمى الذين يفضلون مساكنهم والعائلة، والأموال المادية على

الجهاد في سبيل الله إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ... أَحَبَّ... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^(١).

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٢٤ - ٢٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

٧ - وربما يطلق على الانحرافات الخسيصة والشهوانية الفاسدة (يصف القرآن الذين كانوا يرتكبون اللواط في مجالسهم بوقاحة بالفاستقين):
رَجَزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ^(٤).

٨ - وأحياناً يطلق عنوان الفسق على الإستفادة من الأطعمة الحرام:
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ ... ذَلِكُمْ فِسْقٌ^(٥).

٩ - وأحياناً يطلق عنوان الفسق على اتهام النساء المحصنات الطاهرات بتهمة الزنا:
يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(٥).

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٤.

مواجهة الفاسق:

لقد نهت الآيات والروايات المسلمين عن مصادقة الفاسق.

- ١ - فقد روي عن الإمام الصادق والإمام الباقر، والإمام السَّجَّاد عليهم السلام أحاديث عديدة، تنهي عن مصادقة المتظاهر بالفسق الذين يبيعونك بلقمةٍ أو أقلَّ من ذلك (ولا وفاء لهم)^(٤).
- ٢ - قال الإمام علي عليه السلام: «لا أقبل شهادة الفاسق»^(٥).
- ٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المجال: «أربعة ليست غيبتهم غيبة: الفاسق المعلن بفسقه»^(٥).
- ٤ - نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن إجابة الفاسقين إلى طعامهم^(١).

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٧٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٣٩٤.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١٢٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٧.

التحقيق علاج الأمراض الاجتماعية:

كان الأنبياء - على طول التاريخ - يواجهون شعوباً ومجتمعات مصابة بأنواع عديدة من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية، بل وحتى في عصرنا الحاضر لا تزال المجتمعات العصرية رغم كل ما أحرزته من تقدم في المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية تعاني من تلك الأمراض بالقوة نفسها. وتلك الأمراض هي:

- ١ - التقليد الأعمى للأسلاف والعادات والتقاليد الخرافية.
 - ٢ - إتباع الظنون والشائعات، والتكهنات والتحليل وأصغاث الأحلام وغير ذلك من الأمور الخيالية.
 - ٣ - الحكم والقضاء من دون علم، واتخاذ موقف ما من دون علم، والمدح أو النقد من دون علم، والكتابة والقول من دون علم.
- إن الأمر بالتحقيق والتثبت الذي ورد في هذه الآية علاج ناجح لجميع تلك الأمراض والأدواء الاجتماعية.
- إذا اعتمدنا مجتمعنا أسلوب التحقيق والتثبت، والفحص والدراسة، عولجت كل تلك الأمراض والآفات الاجتماعية في مكان واحد.

نموذجٌ مرّ:

بعد معركة «خيبر» بعث رسول الله ﷺ شخصاً يدعى «أسامة بن زيد» برفقة جماعة من المسلمين إلى اليهود الذين كانوا يسكنون في قرى «فدك» لدعوتهم إلى الإسلام، أو القبول بشروط الذمّة.

ولما سمع رجل من اليهود يدعى (مُرادس) هذا الخبر جعل أهله وأمواله في مكان حصين في الجبل حفاظاً عليهم، ثم تظاهر بالدخول في الإسلام، وتشهد الشهادتين ثم عمد إلى استقبال المسلمين والإحتفاء بهم، إلا أنّ «أسامة» أقدم على قتل ذلك الرجل ظناً منه بأنه أسلم خوفاً ورهباً، وأن إسلامه ليس إسلاماً حقيقياً.

ولما سمع النبي ﷺ بذلك انزعج، فنزل قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ** ^(٤) أي إن الله قادر على أن يعطيكم الكثير من دون قتل الأبرياء.

الإتقان والإحكام:

لقد جعل الإسلام مبدأ الإتقان والإحكام في الأمور من أكد إهتماماته
ومن جملة ذلك:

١ - في مجال أصول العقيدة، منع الإسلام من التقليد وقال: يجب أن
يختار كل شخص عقيدته بعقله وفكره ونفسه.

٢ - في مجال القيادة، يشترط توفر العصمة أو العدالة إلى جانب الشروط
الأخرى في القائد.

٣ - في مجال التقليد كذلك يعتبر من شرائط مرجع التقليد إلى جانب
العلم والعدالة أن يكون المرجع مجتنباً للهوى وبصيراً بمسائل العصر
ومشاكل الزمان.

٤ - في مجال القضاء يُشترط في القاضي مضافاً إلى العلم والعدالة أن
تكفل حياة القاضي، وتؤمن كل احتياجاته المادية، لكي لا تدفعه
الحاجة، والفقير إلى قبول الرشوة على الحكم.

٥ - في مجال تنظيم المستندات التجارية اختصت أطول آية في القرآن

الكريم بتنظيم المستندات التجارية والوثائق المرتبطة بالمعاملات.
بل ترى كيف أن الإسلام اهتم بالدقة والإتقان، وأوصانا بالإحكام حتى
في دفن الموتى وإن المسلمين (رأوا بأمر أعينهم كيف أن النبي ﷺ أتقن
صنع لحد مسلم مات ودفن بحضرة النبي ﷺ فلما قيل له: لماذا أتعبت
نفسك يا رسول الله، وهو عن قليل سيبلى؟
فقال: إن الله يحب امرأً إذا عمل عملاً أن يتقنه.
ولقد قال القرآن الكريم في مجال الكلام أيضاً: «وقولوا قولاً سديداً» أي
محكماً متقناً ومنطقياً.
بعد هذا نعطف عنان البحث على مسألة النبأ والخبر في الإسلام.

الخبر والنبا في الإسلام:

لقد وردت في الإسلام تأكيدات كثيرة حول مسألة الخبر والنبا من ذلك:

أ - لقد أمرنا في ثنايا الكتاب العزيز بأن لا تتبع ما لا نعلم لأن السمع والبصر والفؤاد كلها مسؤولة عنه يوم القيامة^(١).

ب - لقد ندد القرآن الكريم بشدة بالذين يشيعون في الناس كل ما يسمعون من دون تثبت، وأمرنا بأن نرد ذلك إلى من يقدر على فهمه واستنباطه، وإذا عرف المختصون في الأمر صحته جاز نشره ونقله إلى الآخرين^(٢).

ج - لقد قرر الإسلام جزاءً شديداً لمن يثيرون قلق الآخرين ببث الأخبار الكاذبة في المجتمع^(٣).

د - قال النبي ﷺ في أخريات حياته وكان في آخر سفره إلى الحج:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

«قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»^(٤).

هـ - لعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام من كذب وافتري على أبيه الإمام الباقر عليه السلام وقال: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة»^(٥).

و - وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّا إن تحدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة، وإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك فردّوه»^(٥).

ز - إن أحد أهمّ العلوم الإسلامية هو علم الرجال الذي أسس لمعرفة الخبر الصحيح وتمييزه عن غير الصحيح، وهو يقيّم الأشخاص الذين يروون الأحاديث.

(١) بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٥٠.

أسلوب التحقيق:

إنَّ المهم هو التحقيق والدراسة، وكسب العلم حتى لا يتمَّ أي عمل على أساس من الجهل .

أما الإسلام الذي هو دين جامع فله منهج كفيل بالتمييز بين الصحيح وغير الصحيح .

فقد وضع طرقاً وأساليب خاصة لذلك منها:

١ - الرجوع إلى الكتب والوثائق المقبولة إلى درجة أن رسول الله ﷺ أيضاً استشهد بالتوراة والإنجيل لإثبات نبوته وصحة دعواه، قال تعالى عنه: **النَّبِيِّ الْأُمَمِ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ** ^(٤).

٢ - سؤال العلماء الأتقياء: **فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ** ^(٥).

٣ - شهادة شاهدين عادلين: **ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ** ^(٥).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣ . سورة الأنبياء، الآية: ٧ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥ .

٤ - الدراسة الشخصية وهو أن يقوم الشخص نفسه بالتقييم والدراسة مثل تحقيق النجاشي بنفسه حول المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وحول عقيدتهم.

٥ - جمع الشواهد والقرائن، فقد يحصل للإنسان يقين بحقائبة شيء من خلال جمع الشواهد والقرائن حول حديث، أو زميل، أو زمان أو مكان أو طريقة عمل.

فمثلاً للوقوف على صحة دعوى رسول الله ﷺ وصحة نبوته يمكن الاستفادة من شواهد عديدة مثل كونه أمياً لم يتعلم الكتابة والقراءة، وقيامه ضد الوثنية في قلعة الوثنية، وما جاء من كتاب بليغ عظيم المحتوى، وكونه معروفاً بين الصديق والعدو، وخلقه العظيم، وأصحابه الأوفياء، وسلوكه الإنساني يوم فتح مكة وعفوه وصفحه في ذلك اليوم، وأوامره العالمية، وقيام جميع ممارساته على أساس الحق والتزامه بالعدل والإنصاف في جميع الحالات.

فهذه الشواهد والقرائن تثبت حقانية رسول الله ﷺ.

٦ - تناغم كلامه مع كلماته السابقة وخلو منطلقه من التناقض والتهافت.

٧ - انسجام كلامه ﷺ مع كلام الآخرين، مثلاً يستفيد الإنسان مطلباً من حديث رسول الله ﷺ، وعندما يرى أن شخصيات كباراً فهموا من حديث النبي ﷺ ما فهمه هو يطمئن إلى فهمه.

٨ - المعرفة بالشيء من طريق محقق مبعث خاص كما قال الإمام علي عليه السلام: «عيني بالمغرب أخبرني».

٩ - المعلومات الواردة عن طريق الناس يمكن أن تكون مصدراً موثقاً به للتحقيق قال الإمام علي عليه السلام: «بلغني أنك...».

١٠ - اعتماد الآخرين، فمثلاً إذا اطمأن العلماء ومراجع التقليد إلى حديث ووثقوا به، أفتوا طبقه، أو اقتداء جماعة من المتدينين في الصلاة بشخص.

هذا النوع من الثقة والاعتماد يمكن أن يجعل أداة فاعلة للتحقيق.

١١ - سوابق الأشخاص في مجال العمل يمكنها أيضاً أن تكون طريقاً مطمئناً للتحقيق، فقد قال رسول الله ﷺ للناس: لماذا تشكون في الحال أنكم تعلمون عني كل شيء: **فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمراً** (٤).

الكذب:

حيث إنّه في الآية الخاصة (الآية ٦) صدر أمر بالتحقيق والفحص في الأخبار، وجب أن نلقي نظرة إلى مسألة الكذب.

الكذب هو نوع من النفاق، لأن الإنسان قد يقول شيئاً بلسانه وهو لا يعتقد به في قلبه وباطنه: **يَقُولُونَ بِاللَّسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** (٤).

الكذب قد يظهر في صورة تهمة ونسبة باطلة إلى شخصٍ طاهرٍ وبريء: **أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا** (٥).

الكذب قد يظهر في صورة يمين، والمراد به هو اليمين الغموس: **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ...** (٥).

وقد يظهر الكذب في قالب البكاء كما فعل إخوة يوسف حيث جاؤوا أباهم عشاءً يبكون مدّعين بأن الذئب هو الذي قطع يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ** (١).

(١) سورة الفتح، الآية: ١١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٦.

الكذب لا يكون باللسان فقط بل قد يكون بالعمل، فإخوة يوسف
لطَّخُوا ثوبَ يوسف بالدم، وبهذا الكذب العملي أظهروا مطلبهم (أعني
براءة أنفسهم من دم يوسف) «بدم كذب»^(١).

إن الإسلام نهى حتى عن المزاح الكاذب^(٢).

الكذب، مفتاح كثير من الذنوب^(٣).

الكذب يحرم الإنسان من تذوق طعم الإيمان^(٤) ويوجب خراب

الإيمان^(٥).

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا سِوَاةَ أَسْوَأَ مِنَ الْكُذْبِ»^(٦).

وقال الإمام علي عليه السلام: «إِيَّاكَ وَصَحْبَةَ الْكُذَّابِ فَأَنْتَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ

السَّرَابِ»^(٧).

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٤٠.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٩.

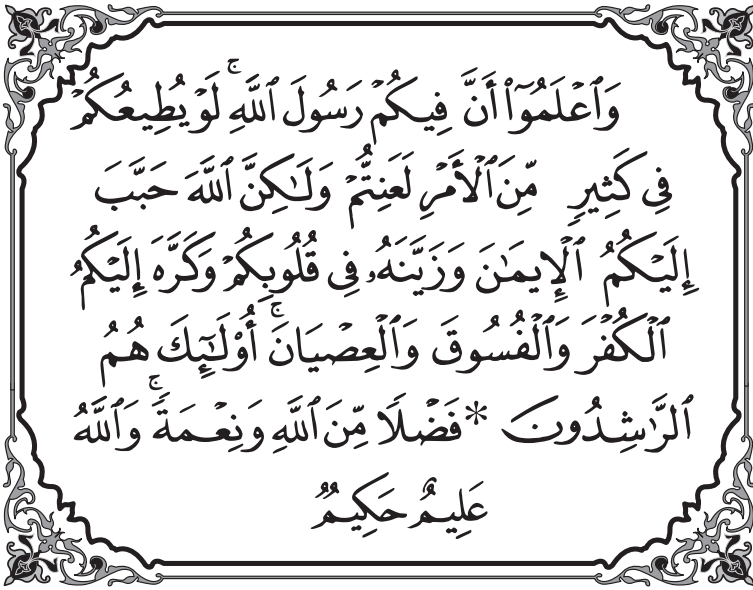
(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٤٠.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٩.

(٦) الكافي: ج ٨، ص ١٩.

(٧) الكافي: ج ٢، ص ٢٧٦.

الآيتان ٧ و ٨



نقاط وتأملات:

قرأنا في الآيات السابقة أنّ شخصاً يدعى (الوليد بن عقبه) أخبرنا
كذباً بتمرد قبيلة على رسول الله ﷺ وعلى الناس، مما أثار الناس وهياهم

للهجوم على القبيلة المتمردة وتوقعوا أن يقدم رسول الله ﷺ على اتخاذ موقف حاسم من تلك القبيلة وحيث إنهم كانوا يتوقعون من النبي ﷺ أن يتحرك هو أيضاً دفاعاً عنهم وتأييداً لهم، نزلت الآية تقول:

أولاً: إذا جاء فاسق بخبر هام فعليهم ان يتحققوا.

ثانياً: على الناس أن يكونوا تابعين للنبي ﷺ، لا أن يكون النبي ﷺ تابعاً لهم ومؤيداً لانفعالاتهم أو مشاعرهم الملتهبة الفجة التي أثارتها تقارير أشخاص فاسقين.

نقرأ في الأحاديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله، ويبغض أهل معصيته ففك خيرٌ والله يحبك، وأن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خيرٌ، والله يبغضك والمرء مع من أحب»^(١).

نقرأ في الروايات أن المراد من الإيمان في قوله تعالى: حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ هو محبة علي بن أبي طالب عليه السلام وأن المراد من الكفر والفسوق والعصيان هم المخالفون لأهل البيت عليهم السلام^(٢).

روى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لم يعرف لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب أو ملبس قصر علمه ودنا عذابه»^(٣).

ونقرأ في حديث آخر عن رسول الله ﷺ يقول: «من لم ير أن لله عليه

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٢٦.

(٢) أصول الكافي: ج ١، ص ٤٢٦.

(٣) أصول الكافي: ج ٢، ص ٢١٥.

نعمة، إلا في مطعم أو مشرب، فقد جهل وكفر نعم الله، وضلّ سعيه ودنا
أجله»^(٤).

إن الرشد موهبة إلهية، وهدية ربانية أعطيت للأنبياء: **ءَايِنَّا إِبْرَاهِيمَ
رُشْدَهُ** ^(٥) وهم مكلفون بترشيد الناس **يَقَوْمٌ أَتَّبِعُونَ أَهْدَاكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ** ^(٥) كما يظهر ذلك من قصة موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وهو يجري
وراء الخضر في الصحارى ليصل إلى مبتغاه من الرّسد: **هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى
أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا** ^(١).

ثم إن الإيمان أرضية للرّشد: **وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ^(١).
كما أن الكتب السماوية هي أيضاً وسيلة فاعلة للرّشد: **يَهْدِي إِلَى
الرُّشْدِ** ^(١).

وعلى كل حال فإن المراد من الرّشد في القرآن الكريم هو الرّشد المعنوي،
ومن قصر النظر وفجاجة الفكر لدى الإنسان أن يتصور أن الرشد يتلخص
في الرشد المادي وفي مجال التمتع الدنيوية.

في مجال إدارة المجتمع وتنظيم أموره والتخطيط له إذا لم يتم اتخاذ
القرارات على يد القائد المعصوم أو العادل، انتهى أمر المجتمع إلى الإستبداد

(١) بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥١.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٦) سورة الجن، الآية: ٢.

الذي لا مكان فيه للرشد: وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٤).
ولكن إذا كان متخذ القرار هو القائد المعصوم أو العادل، حينئذ توفرت
أرضية الرشد والنمو: أُؤْتِيكَ هُمُ الرِّشْدُونَ (٤).

(١) سورة هود، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.

دروسٌ وبصائر:

١ - إذا أردنا أن لا نندم وحب أن نرجع إلى الأنبياء (ففي آخر الآية السابقة كان الحديث عن الندامة، وفي هذه الآية يقول سبحانه: إن عندكم رسول الله فارجعوا إليه ولا تتخذوا المواقف غير المدروسة والأعمال المستعجلة، لتأمنوا من الندامة...). «نادمين، واعلموا أن فيكم رسول الله».

٢ - إن حضور الأنبياء والقادة الإلهيين في أي مجتمع هو في الحقيقة امتياز كبير للمجتمعات قال سبحانه: «فيكم رسول الله» ولم يقل: «رسول الله فيكم». فهو من باب تقديم ما من حقه التأخير لإفادة الحصر والتأكيد.

٣ - على القائد أن يكون بين الناس وقريباً منهم وفي متناول أيديهم وعلى الناس أيضاً أن يأخذوا وجود وحضور رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم مأخذ الجد: «إن فيكم رسول الله».

٤ - إن توقع الناس بأن يشاورهم النبي ﷺ أمر لا مانع فيه، ولكن توقع

- أن يتبعهم النبي ويطيعهم أمرٌ في غير محلّه: «لو يطيعكم... لعنتم».
- ٥ - إنَّ مشاكل الناس ناشئة من ابتعادهم عن مناهج الأنبياء، وعملهم وفق أهوائهم المختلفة، وطبائعهم الشخصية المتباينة: «لو يطيعكم... لعنتم».
- ٦ - على القائد أن يكون مستقلاً في موقفه فلا يخضع لأحد في رأيه (لأنه لو تعرض في رأيه وموقفه لأموج الفتن والأهواء ولضغوط الطبائع والإقتراحات ضعف رأيه، وتعرض المجتمع للمشاكل والمتاعب): «لو يطيعكم... لعنتم».
- إن العدو كذلك يريد هذا النوع من المشاكل الناجمة عن ضعف رأي القائد، وهشاشة موقفه كما يقول تعالى في موضع آخر: «ودّوا ما عنتم...».
- ٧ - يجب إظهار نوع من المرونة في بعض المجالات... «في كثير من الأمر».
- ٨ - في المجالات التي لا يوجد فيها حكم من جانب الله أو النبي، ويكون الموضع موضع المشورة، لا مانع من اتباع رأي الناس، والموافقة على طبائعهم الشخصية «في كثير من الأمر».
- وعلى هذا قد تكون هناك موارد لا تثير فيها طاعة الناس واتباعهم مشكلة ما.

٩ - إن اتخاذ مذهب معين أمر فطري قد أودعه الله سبحانه في جبلة الإنسان «حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ» (فنحن نقرأ في الروايات أن حبَّ الحقِّ، وتولي أولياء الله والمؤمنين من أطفاف الله تعالى).

١٠ - الحب يكون بالإيمان والإعتقاد وأمَّا الإِجبار والفرض فلا يكون إيماناً «حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ...».

١١ - الإيمان زينة القلوب: «وَزَيَّنَّةٌ فِي قُلُوبِكُمْ» (تماماً كما أن الجبال والبحار والمعادن والورود والشلالات وكل ما فوق الأرض، زينة للأرض «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا» أجل إن زينة الإنسان هي الكمالات المعنوية، والتجليات المادية هي زينة الأرض).

١٢ - التولِّي والتبرِّي يجب أن يكونا معاً جنباً إلى جنب، وإذا أحببنا الإيمان فيجب أن نكره الكفر والفسق والعصيان أيضاً: «حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... كَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ...».

١٣ - إن الإنكار القلبي وكذا الدوافع الفاسدة مقدمة لطغيان الإنسان (فهو سبحانه قال أولاً: «الْكُفْرُ» ثم قال: «الْفُسُوقُ وَالْعَصِيَانُ»).

١٤ - إنَّ الكفر تغيير للفترة الإنسانية «حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... كَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ».

١٥ - آفات الإيمان هي الكفر والفسوق والعصيان: «حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... كَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ».

١٦ - إن التنفّر من الأمور السيئة أمر فطري «كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان».

١٧ - إن الأشخاص الذين لا يتنفّرون من الكفر والفسق والعصيان لن يكون فيهم رشد وتقدم: «كرّه... أولئك هم الرّاشدون».

١٨ - النعمة ليست فقط النعم المادية فمن النعم الإلهية الكبرى حبّ الإيمان والبراءة من الكفر، والفسق والعصيان، «حبّ... كرّه... فضلاً من الله ونعمة».

العلاقة بين الإيمان والعلم:

إنَّ حساب الإيمان يختلف عن حساب العلم، فالإيمان أعلى وأجل من العلم وذلك لأن الإيمان من مقولة الحبِّ، كما أن حساب الولاية يختلف عن حساب الرئيس والحاكم والملك والسلطان، كما يختلف حساب الخمس والزكاة عن حساب الضرائب!

وتوضيح ذلك أن الإنسان المؤمن قد يعلم كثيراً من الأشياء ولكنه لا يحبّها.

فمثلاً يعلم بارتفاع الجبال، وعمق البحار والمحيطات كما يعلم بتاريخ الحكومات والملوك والسلاطين وغير ذلك من آلاف المعلومات، كما إنه يعلم الكثير من الإحصاءات والأرقام ولكنه لا يحبها ولا يتعشقها، أما في الأمور المرتبطة بالله سبحانه، وبالإعتقاد والإيمان، فهناك يكون الحب والعشق، وهذا الحب والإيمان هدية إلهية أودعها الله تعالى في قرارة الإنسان.

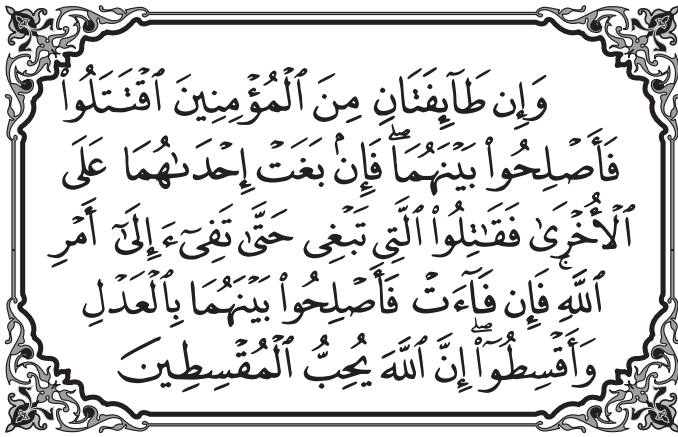
وعلى هذا فإن الكفار يغيرون بكفرهم وعنادهم - في الحقيقة - فطرتهم:

«حَبِّ إِيْمَانٍ».

كما إنه لا توجد القداسة، والثقة، والانتخاب والقرب إلى الله تعالى

الموجودة في فريضتي الخمس والزكاة، في الضرائب.
ولهذا يقوم جميع الناس بأداء الضرائب في العالم، ولكن لا يحبّون من
يتسلم هذه الضرائب، ولا يتعشقونه، بينما يقوم المؤمنون من الناس بدفع
الخمس والزكاة وهم يحبّون مراجع التقليد، ويجلّونهم.

الآية ٩



نقاط وتأمّلات:

لقد طرحت من بداية هذه السورة أنواع من المواقف والممارسات:

أ - الموقف من الله والنبي... «لا تقدموا...».

ب - التعامل مع النبي الكريم، (التأدب معه، وعدم رفع الصوت عليه).

ج - نوع التعامل مع الفاسق، (التحقق والتثبت من إخباره ودراسة التقارير).

د - التصدي الحاسم للمتمرد.

هـ - التعامل بمحبة، وأخوة. ... مع المؤمن (الآيات اللاحقة).

نقرأ في الحديث بأن على المؤمن أن ينصر أخاه المؤمن ظالماً ومظلوماً: «فَأَمَّا نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، أمَّا نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه»^(٤).

يجب أن تكون للمسلمين تشكيلات وحكومة، وقدرة، ونظام وتعليم، وتعبئة وإعلام، وميزانية، وإلا فإن العمل بهذه الآية يعني مواجهة وردع قوى الاستكبار العالمي مع كل ذلك التقدم العلمي والتكنولوجي، والارتباطات، من دون أجهزة وتشكيلات، وهو أمر لا يكون ممكناً، ولا متيسراً. (نعم إذا كان ردع المعتدين وقمعهم واجباً، وجب توفير مقدمة لك وهو إقامة الحكومة الإسلامية كذلك واجباً).

(١) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٢١٢.

دروسٌ وبصائر:

١ - الإيمان لا يمنع من الاصطدام والتنازع ولكن النزاع بين المؤمنين لا يكون سوى شرارة عابرة وليس حدثاً مستمراً، فهو أمر مؤقت وليس دائماً، لأن لفظة «اقتتلوا» تعرب عن مجرد ظهور نزاع لا دوامه، إذ لو كان دائماً لقال تعالى: «يقتتلون».

٢ - يقضي الأدب بأن لا ننسب الأمور السلبية والقبیحة إلى مخاطبنا مباشرة (ففي هذه الآية لم يقل سبحانه إذا اقتتل طائفتان منكم، بل قال: من المؤمنين وكأنه يريد أن يقول «أنتم لستم من هذا النمط» «اقتتلوا».

٣ - إن من طبيعة القتال أن يجر الجميع إلى ساحة المعركة ولا يقنع بالفريقيين المتنازعين (ولهذا قال تعالى: «اقتتلوا» وإلا لقال: اقتتلنا).

٤ - إن المسلمين يعتبرون أنفسهم مسؤولين ومعنيين عند مشاهدة حوادث التصارع والتقاتل بين المؤمنين، ويرفضون حالة اللامبالاة «فأصلحو».

٥ - لإيجاد السلام، وإقرار الصلح بين المسلمين يجب الإقدام بسرعة، وعدم التلكؤ (وهذا ما يستفاد من استخدام حرف الفاء في لفظة «فأصلحوا»).

٦ - إذا بغت إحدى الطائفتين المتقاتلتين وجب على جميع الأمة أن تتعبأ ضدها «فإن بغت... فقاتلوا التي تبغي».

٧ - من أجل إقرار وحفظ الأمن والعدالة يجوز حتى قتل المسلمين البغاة وإبادتهم، نعم لا قيمة لدم الباغي العنيد «فإن بغت... فقاتلوا...».

٨ - يجب مواجهة التحدي بالتحدي والعنف بالعنف، «فإن بغت... فقاتلوا...». (لا يجوز في النظام الإسلامي إمهال الباغي وإعطائه فرصة التحرك).

٩ - لا يجوز التسامح والتغافل في ردع الباغي «فقاتلوا»، فحرف الفاء في قوله «فقاتلوا» تفيد السرعة.

١٠ - في قمع الباغي وردعه يجب أن لا نتعرض للزوجة والأولاد بل يجب فقط أن نقصد الباغي نفسه: «فقاتلوا التي تبغي».

١١ - في ردع الباغي وقمعه يجب أن لا نلاحظ شرطاً أو شيئاً، فلا بد من ردعه وقمعه قريباً كان أو بعيداً، لإطلاق قوله: «فقاتلوا التي تبغي».

١٢ - مدة مكافحة الباغي ليست محددة بل تمتد إلى أن نصل إلى الهدف «حتى نفىء إلى أمر الله» ولا تشتط فيها الساعة أو الشهر أو تاريخ

خاص، فهي مثل مراجعة المريض للطبيب ومثل استعمال الدواء الذي يجب أن يستمر إلى حين تحقق الشفاء.

١٣ - في ردع الباغي وقمعه لا مكان للأخذ بنظر الاعتبار ما هو من قبيل الأهداف الشخصية، ولا القومية، ولا الحزبية، ولا الانتقام ولا التظاهر أو إظهار القوة، أو التخويف بل لا يراعى فيه شيء إلا الهدف وهو رجوع الباغي إلى الله فحسب «حتى تفيء إلى أمر الله».

١٤ - لإيقاف قتال الباغي يكفي مجرد شروع الباغي في الفيء إلى أمر الله، وفي الرجوع إلى سبيل الحق، ففي هذه الحالة يجب الكف عنه لأن الشرط هو البدء في العودة إلى طريق الحق وليس الرجوع مائة بالمائة: «حتى تفيء...».

١٥ - في مرحلة التقاتل إذ لا يُعرف المعتدي يجب السعي لإيقاف التقاتل وإطفاء نار الفتنة وإقرار الصلح «فأصلحوا» ولكن فيما بعد ذلك، وبعد أن يتضح ويعرف المعتدي والمصر على التقاتل، يجب أن يتم إطفاء نار الفتنة، وإقرار الصلح والعمل لصالح المظلوم وفي سياق الدفاع عنه، وأخذ حقه من الظالم ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾.

١٦ - تختلف وظيفة المسلمين وتفاوتت في الظروف المختلفة، فقد تكون وظيفتهم الإصلاح، وقد تكون وظيفتهم القتال، والمحاربة (في هذه الآية وردت لفظة: «وأصلحوا» مرتين، لفظة «قاتلوا» مرة واحدة) وهو

يشعر بأنه قد تكون الوظيفة هي الصلح وقد تكون الحرب، وقد تكون الصلح مرة أخرى.

١٧ - عند الإصلاح بين فئتين يجب أخذ الخسارة التي سببتها المعركة من المعتدي «بالعدل».

١٨ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تُقدّس أمة لا يؤخذ فيها للضعيف حقه من القوي غير متع».

١٩ - كلما كان طوفان الغرائز أقوى ونار الغضب أشدّ، وكان هناك خطر الانزلاق، كانت الحاجة إلى النصائح المتوالية أكثر: «بالعدل... أقسطوا... يحب المقسطين».

٢٠ - الإصلاح القيم هو الذي يؤدي إلى وصول الحق إلى أهله وإلا كان صلحاً ذليلاً ومميتاً ومفروضاً: «أصلحوا... أقسطوا».

٢١ - كلما كان الأمر بحاجة إلى تحمل مشاكل، واحتمال متاعب، استفيدوا من سلاح المحبة ومن لهجة الحب: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

٢٢ - إنما يحب الله من يتحركون ويتصرفون على أساس العدل والقسط، وإلا فإن الذي يتوصل إلى إقرار الصلح بين متقاتلين من دون إقامة العدل والقسط لا يحبه الله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

العدالة:

حيث إنه تكررت لفظة العدالة في هذه الآية ثلاث مرّات: فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. نتحدث قليلاً حول العدالة.

١ - إِنَّ الْخَلْقَ قَائِمٌ عَلَىٰ أُسَاسِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ «بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ»^(١).

٢ - إِنَّ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقُومَ النَّاسُ بِالْعَدْلِ، وبعبارة أخرى يكون قيامهم عادلاً: لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^(٢).

٣ - إِنَّ الْعَدْلَ حَيَاةٌ، وَالظُّلْمَ مَوْتٌ: «العدل حياة والجور ممات»^(٣).

٤ - إِنَّ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنَ السُّلُوكِ الْعَادِلِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً قِيَامَ لَيْلِهَا وَصِيَامَ نَهَارِهَا^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٤٩٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) آثار الصادقين: ج ١٢، ص ٤٣٥.

(٤) جامع السعادات: للنراقي، ج ٢، ص ٢٢.

٥ - دعاء الإمام العادل مستجاب^(٥).

٦ - جاء في الحديث: «إن الناس يستغنون إذا عدل بينهم وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركاتها بإذن الله تعالى»^(٥).

٧ - قال الإمام الكاظم عليه السلام: «لو عدل في الناس لاستغنوا»^(٥).

وقال: «إن العدل أحلى من العسل»^(١).

٨ - قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في تفسير قول الله عزَّ وجلَّ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ليس يحييها بالقطر (المطر) ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل فتحيا الأرض لإحياء العدل^(١).

٩ - قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام): «وجعل العدل تنسيقاً للقلوب»^(١)، أجل إنَّ الناس يمكن أن يتحملوا الفقر ولكنهم لا يتحملون الظلم بل ويغضبون لذلك.

(١) وسائل الشيعة: ج٧، ص١٠٨.

(٢) الكافي: ج٢، ص٥٦٨.

(٣) الكافي: ج١، ص٥٤١.

(٤) الكافي: ج١، ص٥٤١.

(٥) بحار الأنوار: ج٧، ص١٧٤.

(٦) بحار الأنوار: ج٢٩، ص٢٢٢.

العدالة في مدرسة الأنبياء ﷺ:

إن كلمة العدل تقترن عادة بالقانون، والظلم، والممارسة غير العادلة عادة هي نقض وتجاهل القوانين.

في هذه الصورة إذا كان أصل القانون غير محترم ولا قيمة له، وكان ضعيفاً مهيناً عند البشر، فكيف بأي دافع يمكن العمل لذلك القانون؟ إن أي قانون يكون من صنع البشر يكون كالبشر نفسه، سيئاً في حال التغيير يوماً بعد يوم.

إنه القانون الذي أخذت فيه مصالح الأفراد أو الأحزاب بنظر الإعتبار، وإنه القانون الذي يكون نابعاً من أفكار فجّة أو مستفاداً ونابعاً من معلومات محدودة، ويكون خاضعاً للغرائز، أو ناشئاً من نزعة التمييز العنصري، والنزعة القومية، والتطميع، ومن الشهوات الخاصة أو شهوات الآخرين. إنه القانون الذي يتخذ في كل منطقة صفة خاصة كما يتخذ في كل زمان صبغة معينة.

إن جميع أنواع القانون هذه عرضة للتغير والتبدل... وكل قوة عظمى تعطي لنفسها حق نقض هذا القانون.

إنها قوانين شوهدت من مؤسسيتها ومدونيتها ألوأناً مختلفة من الأخطار، والعيوب والخصال القبيحة والأفعال الشنيعة، إنها قوانين لا يحترمها، ولا يعمل بها مدوونها ومؤسسوها حتى يمكن أن تستقطب احترام الناس، وتكون مقدسة وكريمة عندهم، وتوفر لهم العزة والشرف، وتكون أرضية للتقدم والرشد.

وهل التخلف عن هذا النوع من القوانين يعد ظلماً ومخالفة للعدل؟
أمّا القوانين التي ياتي بها الأنبياء فهي قوانين صادرة من جانب الله تعالى خالق البشر، ونابعة من العلم الإلهي الحكمة الإلهية واللفظ الرباني المطلق، ويحملها إلى البشرية أشخاص معصومون ملتزمون بها وعاملون به قبل غيرهم.

إنها ليست قوانين متأثرة بإرادة آية قوة استكبارية كبرى، أو فرد، أو فريق أو حزب أو قبيلة.

إنّ هذا النوع من القوانين لكونه يكرم الإنسان ويهبه منزلة سامية، يحظى لدى الإنسان بدافع قوي للعمل به وتطبيقه في حياته، فيعتبره واجب التنفيذ، ويرى التخلف عنه ظلماً وخروجاً عن جادة العدالة.

الأرضيات الاعتقادية والفطرية للعدالة:

إن العدل لا يجد مكانه ولا معناه الحقيقي إلا في إطار الرؤية الدينية الإلهية لأن من خلال الرؤية الدينية الإلهية يعتقد الإنسان بعدالة الله سبحانه، ويعتقد أن الكون برّمته هادف، وأن كل شيء يجري بإرادة الله تعالى وتدبيره.

وبالرؤية الإلهية يعتقد المؤمن أن العنصر الأصلي في خلقه الإنسان عامّة هو التراب، وأن معاد الجميع ومآلهم إلى الله عزّ وجلّ، والحضور في محكمته العادلة يوم القيامة.

ومن خلال رؤية الأديان السماوية يعتقد الإنسان أن هدف جميع الأنبياء من قيامهم هو إقامة العدل، وأن أبرز الأهداف في انتظار الإمام المهدي عليه السلام هو أن يملأ الأرض بالعدل والقسط، كما يعتقد الإنسان في ظل هذه الرؤية باليوم الآخر (القيامة) الذي يجد فيه كل أعماله صغيرها وكبيرها، حاضرة محضرة.

وبالرؤية الإلهية يعتقد الإنسان أن جميع الأنبياء والسفراء الإلهيين أناس عدول، وقد جاؤوا لأجل نشر العدل.

أجل إن هذه العقائد يمكنها أن توفر أفضل أرضية لإقامة العدل لدى الإنسان.

أما الذي يعتبر الوجود عارياً عن المبدأ، وخالياً من الحساب، ويرى أن العالم والخلق مجرد عن التدبير، فإنه لا يرى المستقبل إلا فناء، وخيلاً، ولا يرى للكون كله هدفاً، ولا غاية معقولة.

أجل، يمكن أن يراقب مثل هذا نفسه، ويضبط تصرفاته بضعة أيام تحت وطأة الضغوط الاجتماعية وخوفاً من الغرامات والعقوبات القانونية أو جلباً لمحبة الناس واحترامهم، أن من أجل أحرار مكانة اجتماعية يتخذ صورة الإنسان المحب للعدل الراغب في إجراءاته، ولكن هذا الشخص نفسه لا يعتقد في قرارة نفسه بالعدل نظراً لرؤيته المادية التي ينظر بها إلى كل الكون، ولا يرى للوجود تخطيطاً ولا هدفاً.

دائرة العدل ونطاقه:

العدل من المحاور الإسلامية الأصلية بحيث ، نظراً لأهميتها - تُطرح بعد مسألة التوحيد، عند بيان الصفات الإلهية، كما أن العدالة تشترط في المرجعية الدينية وإمامة الجماعة، والجمعة، والقاضي، والشاهد، والمسؤول عن بيت المال، اشتراطاً لازماً.

إذا نظرنا إلى العدالة نظرةً واسعةً نجد أن جميع البرامج الإسلامية روعيت فيها بشكلٍ وآخر مسألة العدالة والتعادل والابتعاد عن الإفراط والتفريط ومن جملة ذلك:

- ١ - العدالة والإعتدال في العبادة وصلت إلى درجة أن بعض الكتب الحديثة عقدت باباً تحت عنوان «الاقتصاد في العبادة» أدرجت تحته جملة من الروايات.
- ٢ - العدالة والإعتدال في العمل والتنزه.
- ٣ - العدالة والإعتدال في المحبة والمعاداة.
- ٤ - العدالة والإعتدال في الإنتاج والاستهلاك.

- ٥ - العدالة والإعتدال في التشجيع والتوبيخ.
- ٦ - العدالة والإعتدال في تقسيم بيت المال والوصية بالأموال الشخصية.
- ٧ - العدالة في التعامل مع الأزواج والأولاد والأصدقاء والزملاء.
- ٨ - العدالة في القضاء حتى في النظر إلى المدعي والمدعى عليه.
- ٩ - العدالة في القصاص.
- ١٠ - العدالة في الحرب والقتال.
- ١١ - العدالة في التعامل مع الحيوانات، إلى درجة أن الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ أوصى جابي الزكاة بمراعاة العدل في ركوب إبل الزكاة إن اضطرَّ إلى امتطائها إذ قال: **«ولا يجهدنَّها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها»**^(٤) أي إذا كانت عندك أربع نياق من نياق الزكاة واضطرت إلى ركوبها وأمأمك ساعتان من السير فاركب على كل واحدة منها نصف ساعة.
- ونقرأ في موضع آخر أنه إذا أتعب الحاج بغيره أكثر من المتعارف فلا تقبلوا شهادته في المحاكم لأنه ظلم دابته^(٥).

(١) نهج البلاغة: قسم الكتب، ٢٥.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الحج.

وعلى كل حال، لقد روعيت العدالة في الإسلام في جميع الأمور،
والمجالات حتى لو أنّ أحداً رأى طفلاً جالساً في مكان من المسجد فأزاله
عن مكانه وصلّى في ذلك المكان كان في صلاته إشكال^(٤).

(١) توضيح المسائل:

نماذج:

يأمر القرآن الكريم جماعة من أهل الحجاز مَيِّزُوا أَنفُسَهُمْ عَلَى الْآخِرِينَ بامتياز معين في مناسك الحج، فكانوا يسلكون طريقاً آخر يختلف عن طريق الناس، بأن يسلكوا الطريق نفسه الذي يسلكه عامة الناس: و أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ^(٤).

وعندما أراد أحد الأغنياء من أصحاب النبي ﷺ أن يطرد الفقراء من حوله سمعوه يقول لهم: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا^(٥).

جمع النبي الأكرم ﷺ الناس في آخر سفر له، وقال لهم: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ بِالْإِسْلَامِ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّفَاخِرَ بِأَبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ مِنْ طِينٍ»^(٥).

طلب بعض الأشخاص الذين لا يفكرون إلا في مصالحهم الخاصة من الإمام علي عليه السلام أن يفرز سهم الفقراء والعبيد عن سهم الشخصيات البارزة، ويعطي للنخبة من المجتمع سهماً أكبر من المال ليقوي بذلك دعائم حكومته، ولئلا يقوموا بما يزعزعها، ولا يلتحقوا بمعاوية، فقال الإمام علي عليه السلام: «أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُورِ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ؟»^(١) (أي ليذهب من يريد أن يذهب إلى معاوية).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٢٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ١٠٧.

لقد أقدم هذا الإمام العظيم في بداية حكومته على إصدار قرار خطير إذ قال في الهبات والقطائع التي أعطاها الحاكم السابق لهذا وذاك ظلماً وزوراً: «والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، وملك الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق»^(٤).

ولقد قال الإمام علي عليه السلام: «ولو كان المال لي لسوّيت بينهم فكيف وإنما المال مال الله»^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول من يدخل النار أميرٌ لم يعدل»^(٦).
وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «من وليّ عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة ويده ورجلاه ورأسه في ثقب فأس» أي مقيداً^(٧).

هذه بعض النقاط التي وفقت أنا طالب العلم لاكتشافها من الآية...
فدُيتُ كتاباً تحتوي كل كلمة فيه على هذا القدر الهائل من الدروس التي لا تبليها الليالي والأيام، والأرض والسماء.

ولأجل أن نهتدي إلى المزيد من جوانب العظمة التي يتسم به هذا الكتاب أطلب منكم أن تكتبوا سطرًا واحداً تحتوي كل كلمة فيه على كل هذه النقاط الهامة، وكل هذه العبر الخالدة والصحيحة، والمنطقية.

ربّاه نسألك بكل كلمة من كلمات القرآن أن تحفظنا - بعد أن هديتنا - من الزّيع والزّلل .

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥ .

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٦ .

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٥ .

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٥ .

الآية ١٠



نقاط وتأملات:

هذه الآية تعتبر العلاقة بين المؤمنين مثل علاقة الأخ بأخيه، وفي هذا التعبير نقاط جديرة بالإهتمام منها:

أ - إن الأخوين وحدة واحدة في مواجهة الأجنبي، فكل واحد منهما عضد للآخر، يؤازره ويعضده.

ب - إن المحبة التي تربط الأخوين أحدهما بالآخر محبة عميقة.

ج - تستخدم في عصرنا الراهن ألفاظ معينة وكلمات خاصة، مثل:
الرفيق، الصديق، المواطن، الزميل، للتعبير عن العلاقة بين
طرفين ولكن الإسلام يستخدم لفظة «الأخ» لأنها أعمق
المصطلحات وأقواها دلالة وإيحاء.

د - المودة لدى الأخوين مودّة متقابلة ومحبة متبادلة.

هـ - جاء في الحديث أن الأخوين كاليدين، تغسل إحداهما
الأخرى^(٦).

في هذه الآية والآية التي سبقتها تكررت عبارة: «أصلحوا» ثلاث مرّات،
وهذا يدلّ على مدى اهتمام الإسلام بمسألة الصلح وقضية السلام.
حيث أن للتنازع بين الأخوة آثاراً مرّة ومدمّرة كالتهاجر والتدابير، وسوء
الظن، ورواج الدعايات السيئة وظاهرة الإنتقام، كما إن فتن ما بعد الحرب
تتفاقم وتزداد عادة (المراد من الحرب ما مرّ ذكره في الآيات السابقة).
لذا جاء القرآن ببلاسم لتلك الجراحات الناجمة عن الحرب وذلك
باستخدام ألفاظ مثل: «أصلحوا، اقسطوا، يحب المقسطين، إخوة، أخويكم،
اتقوا، ترحمون».

(١) المحجة البيضاء: للفيض الكاشاني.

دروسٌ وبصائر:

١ - إن رمز الأخوة يكمن في الإيمان لا غير، (والعوامل الاقتصادية، والسياسية، والعرقية، والجغرافية، والتاريخية، و... لا يمكن أن توجد في الناس روح الأخوة): «**إنما المؤمنون إخوة**» أي المؤمنون لا غيرهم الذين يشعرون بالأخوة.

٢ - إن الأخوة القائمة على أساس الإيمان ليست مشروطة بقيد الزمان، والعمر، والشغل والمكان «**إنما المؤمنون إخوة**» فالإطلاق دليل العموم...

٣ - ينبغي أن لا يرى أحد نفسه أعلى وأرفع من الآخرين فالجميع إخوة (أجل: الوالدان أعلى مرتبة من الأخوة، ولكن الأخوة متساوون فيما بينهم).

٤ - من أجل إقرار الصلح والتصالح لا بدَّ من استخدام الكلمات المزيجة باللهجة العاطفية والمثيرة للإحساس والاندفاع الإيجابي «**إخوة... فأصلحوا...**».

- ٥ - إنَّ الإصلاح بين متنازعين واجب على جميع المسلمين، وليس على فريق خاص «فأصلحوا» فهو خطاب موجه إلى الجميع بلا استثناء.
- ٦ - الساعي إلى الإصلاح بين المؤمنين يجب أن يحسَّ بأنه أخو المتنازعين: «بين أخويكم». أي لا بد أن يعتبر نفسه أخاً لهما، وينطلق في عملية الإصلاح من هذا المنطلق.
- ٧ - للإصلاح بين متنازعين كذلك آفات يجب الإلتفات والانتباه إليها «فأصلحوا... واتَّقوا» (وبعض آفات الوساطة من أجل الإصلاح عبارة عن حب الظهور، والتوقعات الشخصية والظلم في إيجاد الإصلاح، والمنّ...).
- ٨ - إن المجتمع المصاب بالتخاصم والتنازع محروم من استحقاق الرحمة الإلهية والتمتع: «فأصلحوا... واتَّقوا... ترحمون».

الأخوة والتآخي:

إن مما يمتاز به الإسلام هو أنه يبدأ بالإصلاح من الجذور، فمثلاً يقول أولاً: **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**^(٤) ثم يعظ قائلاً: لماذا لا تطلبون الله، ولا

تقصدونه من أجل اكتساب العزة؟

أو يقول: **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**^(٥).

ثم يستنتج من ذلك سائلاً: فلماذا إذاً نلتف كل ساعة حول شخص دون الله تعالى؟!

وفي الآية الحاضرة يقول: **«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»**.

فلماذا التنازع والتهاجر؟! فلتكونوا جميعاً أصدقاء متحابين وإخوة متوآدين، وعلى هذا الأساس لا بد لإصلاح الفرد والمجتمع من الشروع من الأساس الفطري والمنطق الإعتقادي ثم إصلاح السلوك.

إن طرح مفهوم الأخوة واستخدام هذا المصطلح من مبتكرات الدين الإسلامي، فبينما كان رسول الله ﷺ في «النخيلة» وحوله سبعمائة

(١) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

وأربعون شخصاً من أصحابه نزل جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: «إِنَّ تَعَالَى أَخَى بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ» فأخى النبي ﷺ بين أصحابه.

وقد أخى بين العبارة (فأخى بين عمر وأبي بكر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة والزبير، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي الدرداء وبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل وبين المقداد وعمّار، وبين عائشة وحفصة، وبين نفسه وعليّ بن أبي طالب^(٤)).

وفي معركة «أحد» أمر أن يدفن اثنان من الشهداء معاً وهم: (عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح) في قبر واحد^(٥).

إِنَّ الْأَخُوَّةَ النَّسَبِيَّةَ سَتَنْقَطُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ^(٤)
ولكن الأخوة الدينية باقية وقائمة إلى يوم القيامة: إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ^(١).

إِنَّ الْأَخُوَّةَ تَكُونُ بَيْنَ الْمُؤْمِنَاتِ أَيْضًا حَيْثُ يَسْتَعْمِدُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الْأَخُوَّةَ فِي مَجَالِ الْحَدِيثِ عَنِ النِّسَاءِ أَيْضًا وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً^(١).

إن الأخوة يجب أن تكون من أجل الله سبحانه، فإذا أخى شخص

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٢٣٥.

(٢) شرح ابن أبي حديد: ج ١٤، ص ٢١٤، وبحار الأنوار، ج ٢٠، ص ١٣٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

أحداً من أجل الدنيا والأغراض الدنيوية حرم مما يقصده، وهذا النوع من الخلة تتبدل إلى عداوة: **الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** (٤) (٤).

إن الأهم من اتخاذ الإخوان هو المحافظة على الأخوة وصيانتها. فإن هناك روايات كثيرة تنتقد بشدة أولئك الذين يفرطون بالأخوة إلى درجة أنه جاءت التوصية بأن لا تقاطع من قاطعنا من الإخوان، بل فصلهم وتتواصل معهم: **«صل من قطعك»** (٤).

نقرأ في الأحاديث الوصية بأن نهتم أكثر بالقدمى من بين الأخوة المؤمنين، وتحمل ما قد يصدر منهم من عثرات، وإنه لو طلبنا من دون عيب ونقص بقينا من دون أخ (١).

إننا نقرأ في الأحاديث الشريفة كيف أن الله تعالى جعل مثوبات كبيرة وكثيرة لمن يقضي حوائج إخوانه المؤمنين إلى درجة أننا نقرأ قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **«من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة»** (١).

قال الإمام جعفر الصادق **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **«المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيء منه وجد ألم ذلك في سائر جسده»** (١).

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٨٢.

(٤) ميزان الحكمة: باب: الأخوة.

(٥) ميزان الحكمة: باب: الأخوة.

(٦) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٦٦.

وقد صبَّ الشاعر الفارسي المعروف سعد الدين الشيرازي هذا الحديث الشريف في قالب جميل من الشعر إذ قال:

الناس كالأعضاء في التسانيد
لخلقهم من كنه طين واحد
إذا اشتكى عضو تداعى للسهر
بقية الأعضاء حتى يستقر
إن لم تغم لمصاب الناس
فلمست إنساناً بذالقياس^(١)

(١) روضة الورد ترجمة «كلستان» لسعد الدين الشيرازي.

حقوق الأخوة:

قال رسول الله ﷺ: «للمسلم على المسلم ثلاثون حقاً لا براء له منها

إلا بالأداء أو العفو»:

١ - يغفر زلّته.

٢ - ويرحم عبرته.

٣ - ويستر عورته.

٤ - ويقبل عثرته.

٥ - ويقبل معذرتّه.

٦ - ويرد غيبته.

٧ - ويديم نصيحته.

٨ - ويحفظ خلّته.

٩ - ويرعى ذمته.

١٠ - ويعود مرضته.

- ١١ - ويشهد ميته .
- ١٢ - ويجب دعوته .
- ١٣ - ويقبل هديته .
- ١٤ - ويكافي صلته .
- ١٥ - ويشكر نعمته .
- ١٦ - ويحسن نصرته .
- ١٧ - ويحفظ حليلته .
- ١٨ - ويقضي حاجته .
- ١٩ - ويشفع مسألته .
- ٢٠ - ويُسمّت عطسته .
- ٢١ - ويرشد ضالته .
- ٢٢ - ويرد سلامه .
- ٢٣ - ويطيب كلامه .
- ٢٤ - ويبر إنعامه .
- ٢٥ - ويصدق أقسامه .
- ٢٦ - ويوالي وليه .

٢٧- ولا يعاديه.

٢٨- وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه، ولا يسلمه ولا يخذله.

٢٩- ويحب له من الخير ما يحب لنفسه.

٣٠- ويكره له من الشر ما يكره لنفسه.

وقال الإمام علي عليه السلام لكميل: «يا كميل إن لم تحب أخاك فلست أخاه»^(٤).

أن الإنسان بالإيمان الكامل وحده يمكنه أن ينضم إلى جماعة أولياء الله تعالى: «سلمان منّا أهل البيت»^(٥).

كما أن بالكفر يخرج من هذا المدار كما قال الله تعالى في حق ولد نوح عليه السلام مخاطباً النبي نوحاً عليه السلام بقوله: **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**^(٥).

(١) تحف العقول: ص ١٧١، باب وصيته لكميل.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠، ص ١٢١.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٦.

أفضل الإخوان:

نحن نقرأ في الأحاديث أن علائم أفضل الإخوة هي كالتالي: «من أراد لك الخير وكان حريصاً عليك حتى أنه عنفك في طاعة الله سبحانه، ومن إذا احتجت كفاك، ومن كانت في الله مودته، المساعد على أعمال الآخرة، وكان أقلهم مصانعة في النصيحة، ومن دعاك إلى صدق المقال بصدق مقاله، ويدلك إلى أفضل الأعمال بحسن أعماله، ومن أعانك على طاعة الله، وصدك عن معاصيه، وأهدى إليك، ومن تكون في الصلاة همته، ويكون من أهل الصدق، والحياء، والأمانة، ولا يخذلك عند الشدة»^(٤).

(١) ميزان الحكمة: باب: الأخوة.

الصلح والتواصل في القرآن:

في هذه الآية نقرأ أن المؤمنين إخوة، إذاً لا بد أن يسودهم الصلح والسلام، والتقارب والتواصل، وبهذه المناسبة ينبغي أن نتحدث قليلاً عن مكانة الصلح والتواصل في القرآن الكريم.

لقد استخدمت في القرآن لفظة «الصلح»: **وَالصُّلْحُ خَيْرٌ** ^(٤) والإصلاح: **وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ^(٥).

كما استخدم عبارة. تأليف القلوب: **فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ** ^(٥) والتوفيق: **إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** ^(١)

والسَّلْم **أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً** ^(١) وكل ذلك يعكس اهتمام الإسلام بالصلح والسلام والصفاء والتعايش السلمي، الوديع.

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

أهمية الإصلاح:

أن من النعم الإلهية المطروحة في القرآن الكريم التأليف بين قلوب المسلمين: **كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ** (٤).

أجل، كان بين قبيلتي الأوس والخزرج نزاع وقتال وفتنة دامت مائة وعشرين سنة فلما جاء الإسلام أقر الصلح بينهم.

إن الإصلاح زكاة الجاه، وهو يوجب أن يحظى فاعله برحمة الله تعالى: **وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا** (٥).

إن الذي يتوسط بين مسلمين متنازعين من أجل إصلاح ذات البين سوف ينال ثواباً عظيماً: **مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** (٥).

إن للإسلام أحكاماً للإصلاح بين الناس منها:

١- إن الكذب من الذنوب الكبيرة، ولكن لا يحرم إذا استخدمه أحدٌ من

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٥.

أجل إصلاح ذات البين ولا يعد ذنباً: «المصلح ليس بكاذب»^(٤).

٢ - إن النجوى والهمس في أذن أحد من أعمال الشيطان^(٥)، وهو أمر يوجب توجس المشاهدين، وخوفهم لهذا يعتبر معصية وإثمًا منهيًا عنه، ولكن لا يكون منهيًا عنه، ولا يعدّ إثمًا إذا كان من أجل إصلاح ذات البين **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**^(٥).

٣ - مع أن العمل وفق الحلف واليمين أمر واجب ورغم أن الحنث، وعدم العمل بالقسم حرام، ولكن لو حلف أحد بأنه سوف لن يقدم على إصلاح بين متخاصمين أجاز الإسلام له أن ينقض يمينه من أجل أن يقوم بإصلاح ذات اليمين: **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ ... وَتُصَلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ**^(١).

فنحن نقرأ في التفاسير أنه وقعت بين امرأة وصهر أحد صحابة النبي ﷺ منازعة، فحلف ذلك الصحابي (والد الزوج) أن لا تتدخل في الأمر فنزلت هذه الآية تقول: لا تجعلوا اليمين وسيلة لترك الإحسان والتقوى والإصلاح.

٤ - مع أن العمل بالوصية واجب، وتركه حرام، ولكن إذا كان العمل

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٤٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

بالوصية يوجب حدوث فتنة وضغائن بين الأشخاص، أجاز الإسلام ترك العمل بالوصية ليسود الصلح والسلام، والوداد والوفاء بين الناس: **فَمَنْ خَافَ مِنْ مُؤْصِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** (٤).

٥ - مع أن دم المسلم حرام ونفسه محترمة، ولكن إذا عمد بعض المسلمين إلى العدوان وإثارة الفوضى والشغب أجاز الإسلام قمع المشاغبين وقتل البغاة ولو كانوا من المسلمين، من أجل إقرار الصلح، والسلام، ومن أجل الأمن: **فَقَتِّلُوا الَّذِينَ تَبَغَّيُوا** (٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

موانع الإصلاح:

لقد أشير في القرآن والأحاديث إلى جملة من موانع الإصلاح، منها:

١ - الشيطان، يقول القرآن الكريم: **أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً** ^(٤).

ويقول في موضع آخر: **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ** ^(٥).

٢- حب المال، والبخل: **وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ** ^(٥).

٣ - التكبر والغرور فهو كذلك يمنع من حصول الصلح.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

بعض موجبات الرحمة الإلهية:

إذا راجعنا القرآن الكريم وتمعننا فقط في عبارة «لعلكم ترحمون» التي تكررت في القرآن الكريم. لوقفنا على بعض العوامل التي توجب نيل الرحمة الإلهية:

١ - إتباع الله سبحانه ورسوله ﷺ والكتاب السماوي: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ... (٤).

وَهَذَا كِتَابٌ ... فَاتَّبِعُوهُ... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤).

٢ - إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤).

٣ - إيجاد الصلح والسلام، والمحبة والألفة بين المسلمين «فأصلحوا... لعلكم ترحمون».

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٦.

٤- الاستغفار والتوبة: لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤).

٥ - إستماع القرآن الكريم والإصغاء إليه وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥).

(١) سورة النمل، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

عوامل نيل الرحمة في الأحاديث:

نلاحظ في أحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام والذين هم عدل القرآن، تأكيدات كثيرة على جملة من الأمور والإشارة إلى كونها من عوامل نيل الرحمة الإلهية منها:

- ١ - عيادة المؤمن المريض «من عاد مؤمناً خاض الرحمة خوضاً»^(٤).
- ٢ - مساعدة الضعفاء وعونهم: «ارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة»^(٥).
- ٣ - الرحمة بأصحاب العوائل الكبيرة فقد أكدت الأحاديث على مساعدة من له عدة بنات (مع ضيق ذات اليد)^(٥).
- ٤ - قضاء حوائج الناس، فقد جاء في الأحاديث «أيما مؤمن يأتي أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله تعالى ساقها إليه، وسببها له فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل»^(١).

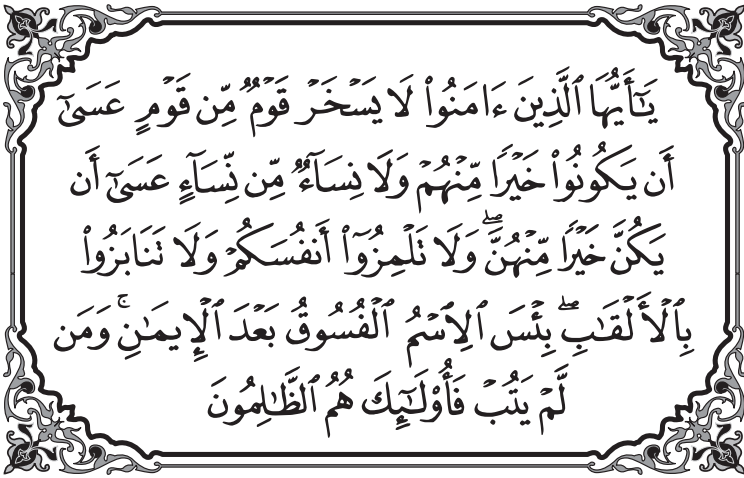
(١) وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٤١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠، ص ١٠٠.

(٣) مستدرک وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ١١٥.

(٤) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٩٢.

الآية ١١



نقاط وتأمّلات:

لفظة «لمز» تعني البحث والتفتيش عن عيوب الآخرين^(٤) ولفظة «التنازع»

تعني منادة أحد بلقب سيئ^(٥).

(١) كتاب العين للخليل:

(٢) لسان العرب لابن منظور:

تحدثت الآيات السابقة عن التنازع والإصلاح بين المتنازعين، وفي هذه الآية إشارة إلى بعض عوامل الفتنة والنزاع وهي الإستهزاء والإزدراء والتحقير والتنابز بالألقاب.

نعم إحدى فضائل العمل بتعاليم الإسلام وبركاته هو تنظيف الجو الاجتماعي مما يلوثه، ويعكره، والمنع من الإستهزاء، والسخرية، والتنابز.

دروس وبصائر:

١ - الإيمان بالله سبحانه، يتنافى مع السخرية بعباد الله: «يا أيها الذين آمنوا لا يسخر...».

٢ - من ينهى عن الإزدراء بالآخرين وإهانتهم، يجب أن لا يستخدم أسلوباً مهيناً عند النهي عن الإهانة، قال تعالى: لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ وَلَمْ يَقل: «لا يسخرُوا» بمعنى أنكم الساخرون، فهذا النوع من التعبير والخطاب إهانة لمن يتم نهيهم.

٣ - السخرية مفتاح الفتنة، والبغضاء والعداوة: «لا يسخر قوم...» (بعد بيان موضوع الأخوة، والإصلاح والتواصل نهى عن السخرية).

٤ - في أسلوب التبليغ عندما يكون الموضوع مهماً أو يكون المخاطبين متنوعين، يجب أن تتكرر المواضيع لكل صنف من أصناف المخاطبين: «قوم من قوم... ولا نساء من نساء».

٥ - في أسلوب تربية الناس وطريقة ارشادهم يجب أن ينصب الجهد على تحجيف جذور منابع الإرهاب والفساد والانحراف: «عسى أن يكونوا

خيراً...» (إن السخرية بالآخرين تنشأ من الإحساس بالتفوق لدى المستهزئ، ولهذا يجب أن يجفف منشأ ذلك، ولهذا يقول: يجب أن لا تعتبروا أنفسكم أفضل من الآخرين، فلعل الطرف الآخر أفضل منكم).

٦ - حيث إننا لا نعلم بما في بواطن الناس لهذا يجب أن تكفي برؤية الظواهر للحكم عليهم، ويجب أن لا نكون سطحيي النظرة، أو قريبي النظر: «عسى أن يكونوا خيراً...».

٧ - جميع الناس من جوهر واحد، فما يصدر من الغير قد يصدر من النفس أيضاً، لهذا فإن لمز الآخرين وتعقب عيوبهم هو في الحقيقة لمز للنفس وتعقب للذات وكشف لعوراتها: «ولا تلمزوا أنفسكم».

٨ - إن لمز الآخرين وتعقب عيوبهم سوف يدفعهم إلى الانتقام والمعاملة بالمثل، فإذا لمزت أحداً فلا بد أن يلمزك الآخرون، فذكر ونقل عيوب الآخرين حاضراً سيؤول إلى ذكر وكشف عيوب الذات مستقبلاً «ولا تلمزوا أنفسكم».

٩ - السخرية والإستهزاء لن يبقى من جانب واحد بل سرعان ما يتحوّل إلى موقف متقابل (لفظة «لا تنابزوا» وهي من باب التفاعل خلافاً للفظه «لا تنبزو») تستعمل في العمل المتقابل والصادر من جانبيين).

١٠ - يجب التوبة من إثم الإستهزاء والنبز بالألقاب: «ومن لم يتب

فأولئك هم الظالمون».

طبعاً التوبة ليست فقط باللسان بل توبة تحقير الآخرين هو تكريمهم، وتوبة من كتم حقاً، هو بيان ما كتمه: **تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا** ^(٤).
وتوبة من أفسد هو إصلاح ما أفسد: **«وتابوا وأصلحوا»**.

١١ - الإستهزاء هو الإعتداء على حرمة الأشخاص، والتجاوز على حرمهم، وفاعله إذا لم يتب كان ظالماً **«فأولئك هم الظالمون»**.

السخرية بالآخرين والاستهزاء بهم:

إنَّ الإستهزاء في النظرة الأولى وفي البداية مجرد ذنب واحد، ولكنه في الحقيقة والواقع عدة ذنوب، فمثلاً تنطوي السخرية على معصية التحقير والإزدراء بالآخرين وكشف عوراتهم وعيوبهم، وإيجاد الفرقة والإختلاف، والغيبة والبغضاء، والفتنة والتحريك، والاستفزاز وإثارة روح الانتقام، والطعن في الآخرين.

جذور السخرية والإستهزاء

١ - قد يكون الاستهزاء والسخرية ناشئين من كثرة المال والثروة، ما يقول القرآن الكريم عنه: **وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ.** (٤).

٢ - وقد يكون منشأ الإستهزاء والسخرية هو العلم والشهادات العلمية التي يقول عنها القرآن الكريم: **فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ.** (٥).

(١) سورة الهمزة، الآيتان: ٢-١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٨٢.

وقد يكون منشأ الإستهزاء بالآخرين هو القوة الجسدية، فقد كان الكفار يقولون: **مَنْ أَشَدُّ مِقَاوِمًا** ^(٤).

٣ - وقد يكون الدافع إلى الإستهزاء والسخرية بالآخرين هو المكانات، والعناوين الإجتماعية الفضفاضة، فقد كان الكفار يحتقرون الفقراء الذين كانوا حول الأنبياء، ويقولون: **وَمَا زَنَّاكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا** ^(٥).

وربما يكون الدافع إلى السخرية والاستهزاء بالآخرين هو التنزه والعبث واللعب.

٥ - وقد يكون الطمع في المال أو المنصب سبباً لانتقاد شخص لآخر في قالب الاستهزاء والسخرية.

فربما عاب جماعة على ما أمر به رسول الله ﷺ من دفع الزكاة قال تعالى: **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ بِسَخَطُونَ** ^(٦).

٧ - وقد يكون منشأ الإستهزاء هو الجهل، فهذا هو النبي موسى عليه السلام أمر بذبح بقرة فقال له بنو إسرائيل: **أَتَنَخِّدُونَاهُمْ** ^(٧).

فقال موسى عليه السلام: **أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ^(٨).

(١) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

الإحتقار غير المتعمد:

قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟

قال: يأتوني إلى المنزل فأعطيهم.

فقال عليه السلام: «ما أراك إلا قد أذلت المؤمن، فإياك إياك، إن الله يقول: «من أذل لي ولياً، فقد أُرصدني بالمحاربة»^(٤).

درجات الاستهزاء ومراتبه:

كلما كان المُستهزء به أكثر قداسةً وأجلّ قدراً، كان الإستهزاء به أخطر، وأشدّ قبحاً وسوءاً فقد جاء في القرآن الكريم **أَبِاللَّهِ وَعَائِنِيهِ، وَرَسُولِهِ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**^(٥).

لقد عفا رسول الله ﷺ يوم فتح مكة عن جميع المشركين إلا من كان دأبه الهجاء، وديدنه الاستهزاء.

نقرأ في الحديث القدسي: «من أذل لي ولياً فقد أُرصدني بالمحاربة»^(٥).

عواقب الاستهزاء:

من لاحظ الآيات والأحاديث يقف على عواقب سيئة تنتظر المستهزئين وتترصد لهم.

(١) المستدرک: ج ٩، ص ١٠٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٣.

أ - نقرأ في سورة المطففين أن الذين يستهزئون ويستخفون بالمؤمنين في الدنيا بالضحك عليهم، ولزهم، والإستهزاء بهم، سيواجهون في يوم القيامة التحقير والضحك عليهم من قبل أهل الجنة **فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ** (٤).^(٤)

ب - قد تكون عقوبة المستهزين أن يستهزاء بهم في هذه الدنيا: **إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ** (٥).^(٥)

ج - إن يوم القيامة سيكون بالنسبة للمستهزين يوم حسرة: **يَحْسِرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** (٦).^(٦)

د - نقرأ في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات بشر مية»^(١).

هـ - قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من طعن على المؤمن أورد عليه فقد رد على الله...»^(١).

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٨.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٤٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٤٦.

خاطرة:

* كان من الأعمال المباركة التي يقوم بها رسول الله ﷺ هو تغيير أسماء الأشخاص والمناطق والتي كانت أسماء قبيحة^(٤)، لأن الأسماء القبيحة والسيئة كانت مدعاةً للاستهزاء وعرضةً للسخرية.

* وفد عقيل أخو عليّ عليه السلام على معاوية ذات يوم، فقال له معاوية محقراً إياه: مرحباً برجل عمه أبو لهب (الذي لعنه القرآن).

فقال له عقيل مجيباً: وأهلاً برجل عمته حمالة الحطب (فامرأة أبي لهب كانت عمّة معاوية)^(٥).

(١) أسد الغابة: ج٢، ص ٧٦ وج٤، ٢٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٤، ص ٢٣٧.

الآية ١٢

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ
إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا
يَغْتَبَ بَـعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ

نقاط وتأملات:

لقد وردت التوصية بحسن الظن في القرآن الكريم فيما نهى المسلمون عنه، الظن السيئ بالمسلمين.

فمثلاً في سورة النور نقرأ قول الله تعالى: **أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا** (٤).

كما إن المسلمين اعتُبروا مسؤولين عن مكافحة البغاة في الآية التاسعة من هذه السورة، حفظاً لأمن وحياة الناس اعتبرت هذه الآية إساءة الظن، والتجسس والغيبة أموراً محرمةً حفاظاً على الأمن، وعلى أعراض الناس وشؤونهم.

يتحدث جميع الحقوقيين في العالم الراهن اليوم عن حقوق الإنسان، ولكن الإسلام يهتم بالآلاف من المسائل والقضايا التي يغفل عنها هؤلاء الحقوقيين أساساً، ومنها الغيبة التي توجه ضربة كبيرة إلى حقوق الإنسان.

ليس هناك ذنب وُصِفَ بالقساوة والجفاء بمثل ما وُصِفَتْ به الغيبة، أجل... حتى الذئب لا يفعل مثل هذا بالذئب الآخر.

وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضاً عياناً

سؤال: لماذا من أجل لحظة اغتيال تمحى عبادة سنوات قام بها الإنسان؟

هل هذه عدالة؟

الجواب: كما إن الذي يغتاب شخصاً يسقط اعتباره الذي اكتسبه

طوال سنين دفعة واحدة، يسقط الله تعالى جميع عباداته التي قام بها سنيناً عديدة، دفعة واحدة أيضاً.

وعلى هذا يكون محو عبادات سنوات عديدة عقاباً عادلاً، ويكون هذا الموقف منه بحسب المصطلح مصداقاً للمقابلة بالمثل.

دروسٌ وبصائر:

- ١ - إن الإيمان مقرون بالالتزام، وكل من آمن يجب أن يتجنب سلسلة من الأعمال: «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا...» (لأن الإيمان لا ينسجم مع سوء الظن والتجسس على الناس واغتيالهم).
- ٢ - من أجل الابتعاد عن الذنوب يجب تجنب الذنوب الاحتمالية. (لأن الكثير من الظنون ذنوب ومعاص ويجب تجنب جميع الظنون السيئة): «اجتنبوا... إن بعض الظن إثم».
- ٣ - إن الأصل هو الاعتماد على سلامة الإنسان وكرامته وبراءته: «إن بعض الظن إثم».
- ٤ - الناس في المجتمع الإسلامي يجب أن يكونوا في امان من سوء الظن، فلا يساء بأحد ظناً لا في محيط النفس والفكر، كما لا يتجسس على حياة أحد، وأعماله ولا يعتدى على سمعة أحد وعرضه في المجالس أبداً: «إن بعض الظن إثم... لا تجسسوا ولا يغتب...».
- ٥ - للنهي عن الغيبة يجب إزالة كل أرضيات هذا الفعل القبيح وسد

أبوابه (وباب الورود في الغيبة هو سوء الظن، ثم المتابعة ثم التجسس ثم كشف العيب ثم يبدأ الإغتياب، ولذلك نهى القرآن عن الغيبة بهذا الترتيب) «اجتنبوا كثيراً من الظن... لا تجسسوا ولا يغتب...».

٦ - إن الذنوب والمعاصي وإن كانت في ظواهرها حلوة ومحبة، لكن بالنظرة الثاقبة، النافذة إلى بواطن الأمور وملكوته ما هي إلا خبائث «يأكل لحم أخيه ميتاً» (أجل، إن باطن الغيبة، وباطنها المللكوتي هو أكل لحم الميت، وهذه العبارة لم يتم استخدامها في أي ذنب ومعصية مطلقاً).

٧ - في النهي عن المنكر لا بد من استخدام العبارات العاطفية (يغتب... يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه..).

٨ - أن من وسائل التربية والتعليم، الاستفادة من عنصر المثال والتمثيل: «أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه» لقد شبه الله تعالى الغيبة بالأكل من لحم الميت، وهو تشبيه في غاية الروعة والفضاعة.

٩ - الإستغراب والتعجب من الذين يغتابون الآخرين، أو يستمعون إلى المغتابين «أحب أحدكم ان...؟!»

١٠ - الغيبة محرمة من أي شخص صدرت، ومهما يكن فاعلها، فلا فرق في ذلك من حيث السن والعرق والمنزلة، كما أن هذا الحكم يشمل «الصغير والكبير، المشهور والمغمور، والعالم والجاهل، والمرأة والرجل...».

- ١١ - إن المؤمنين إخوة بعضهم من بعض (لحم أخيه).
- ١٢ - إن عرض المؤمن واعتباره الشخصي وسيلة قوامه مثل لحم بدنه،
«لحم أخيه».
- ١٣ - لا غيبة للكافر (لأن الكافر ليس أبا المؤمن) «لحم أخيه».
- ١٤ - كما إن الميت لا يقدر على الدفاع عن نفسه، فإن الشخص الذي يغتاب حيث أنه ليس حاضراً موجوداً فإنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه «ميتاً» أيضاً.
- ١٥ - إذا انفصلت قطعة من بدن الحيّ أمكن أن يتم ملء ذلك الفراغ، ولكن إذا انفصل شيء عن الميت بقي مكانه شاغراً وخالياً. (نعم الغيبة تذهب بحرمة الأشخاص وتسقط اعتبارهم، وما ذهب وسقط من الاعتبار لا يمكن أن يجبر).
- ١٦ - الغيبة فيها وحشية وقساوة «يأكل لحم أخيه ميتاً»!!
- ١٧ - الغيبة لا تنسجم مع التقوى «لا يغتاب... واتقوا الله».
- ١٨ - ليس في الإسلام طريقٌ مسدودٌ، فبالتوبة يمكن أن يصلح الإنسان ماضيه، وأن يجبر ما بدر منه من التقصير، ويمحي ما صدر منه من المعاصي.
- ١٩ - إن قبول عذر المعتذر التائب من جانب الله سبحانه مقرون بالرحمة الإلهية: «توابٌ رحيمٌ».

أقسام سوء الظن:

لسوء الظن أقسام وأنواع عديدة وقد نهى عن بعضها:

١ - سوء الظن بالله تعالى، فإننا نقرأ في الحديث أنّ من ترك الزواج خوف النفقة فقد أساء الظن بالله تعالى، لأنه ظن أن الله قادر على رزقه إذا بقي وحيداً فقط، وأما إذا تزوج فإن الله يعجز عن رزقهما، وهذا الظن السيء بالله سبحانه ممنوع ومرفوض.

٢ - الظن السيء بالناس، وقد نهى الله تعالى عنه في هذه الآية.

٣ - الظن السيء بالنفس، وهو شيء ممدوح، أجل إن على الإنسان أن لا يحسن الظن بنفسه، ولا يعتبر جميع أعماله صحيحة وخالية عن العيب والنقص.

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة همّام عن صفات المتقين «فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون»^(٤).

إنّ الذين يزكون أعمالهم ويعتبرونها صحيحة وخالية من العيب يعانون

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

- في الحقيقة - من ضعف في نور العلم والإيمان، فالإنسان لا يرى شيئاً في ضوء النور القليل، فمثلاً إذا دخل الإنسان إلى صالة كبرى بمصباح يدوي، فإنه سوف لن يرى إلا الأشياء الكبرى في تلك الصالة.

ولكنه إذا استعان بمصباح كهربى كبير مثل (البروجكتور) فإنه سوف يمكنه أن يرى كل شيء حتى عودة كبيرة أو كعب سيجارة.

إنّ الذين يعانون من ضعف في نور الإيمان لا يرون إلا الذنوب الكبار، وبعبارة أخرى: لا يعتبرون ما يقومون به من مخالفات ومعاص، ذنوباً كبيرة، ولذلك قد يقولون: نحن لم نقتل أحداً، نحن لم نتسوّ داراً للسرقة، فهم لا يرون الذنوب الكبار إلا في الأفعال، ولو كان نور الإيمان عند هذا الصنف من الناس، قوياً وكبيراً لرأوا جميع عثراتهم ومخالفاتهم حتى الصغيرة منها، ولضجّوا منها إلى الله تعالى.

وهذا الأمر ونعني به قوة نور المعرفة والإيمان هو الذي كان وراء ذلك البكاء العجيب وتلك المناجاة الشجيّة والخاشعة التي نلاحظها في حياة الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

أجل إذا كان الشخص يحسن الظن بنفسه (ولا يسيء الظن بأي شيء في أفكاره وسلوكه، وبعبارة أخرى: لا يشعر بالتقصير) فإنه لن يتقدم، ولن يحصل له الرقي المنشود.

إنّ مثل هذا الشخص مثل الذي ينظر دائماً إلى ورائه، ويشاهد ما طواه من الطريق، فيغترّ بذلك.

ولكنه إذا نظر إلى الأمام لرأى ما لم يطوه من الطريق، ولعرف أن ما لم يطوه من الطريق أكثر بكثير من المقدار الذي مشاه وطواه.

عندما نرى القرآن الكريم يأمر رسول الله ﷺ بأن يقول: **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** (٤) وهو يطلب منه أن يسعى إلى المزيد من العلم، أو يأمره بمشاورة الناس إذ يقول: **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** (٥)

ويحثه على القيام بعمل جديد كلما فرغ من عمل إذ يقول: **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ** (٤) وهي أوامر موجهة إلى أشرف الخلق، هل من الصحيح لأمثالنا أن نعتبر أناساً كاملي المعرفة في غنى عن المشورة، وتصور أننا أصبحنا في فراغ من المسؤولية وكأننا قد أدينا كل ما كان يجب علينا من الواجبات، وبالتالي نحسن الظن بأنفسنا، ولا نشعر بأي نوع من التقصير. على هذا الأساس يجب أن لا نحسن الظن بأنفسنا، نعم لا بد من أن نحسن الظن بألطف الله تعالى، كما يجب أن نحسن الظن بالناس وأعمالهم.

على أننا يجب أن نلتفت إلى نقطة هامة، وهي أن معنى حسن الظن المطلوب ليس هو البساطة، والسطحية والمسارعة إلى قبول كل كلام، والغفلة عن مؤامرات المتأمرين، وعن مكائد الشياطين.

إن على الأمة الإسلامية أن تحذر بشدة من الوقوع في فخ الصيادين بسبب حسن الظن غير المبرر، فتصبح بسبب الغفلة فريسة في أيدي المغرضين.

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الشرح، الآية: ٧.

ما هي الغيبة:

الغيبة هي أن يذكر الإنسان شخصاً في غيابه بأمر لا يعرفه الناس، ويكون بحيث إذا سمع من اغتیب به ساءه وانزعج منه.

وعلى هذا فإن النقد الموجّه للشخص أو ذكر العيب الذي يعرف به الناس أو الذي لا يستاء منه من اغتیب إذا بلغه، لا يعدّ غيبة.

ولا فرق في حرمة الغيبة بين الرجل والمرأة، ولا بين الصغير والكبير، ولا بين القريب والغريب، ولا بين المعلّم والتلميذ، ولا بين الوالد والولد، ولا بين الحيّ والميت.

قال رسول الله ﷺ: «ارفعوا ألسنتكم من المسلمين وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً»^(١).

الغيبة في الأحاديث:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «المغتاب (أي المرتكب للغيبة) هو آخر من يدخل الجنة إن تاب، وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار»^(٢).

(١) نهج الفصاحة: الحديث ٢٦٥.

(٢) المستدرک: ج ٩، ص ١٢٢.

عن الإمام الرضا عليه السلام عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قال: «من كفَّ عن أعراض المسلمين أقال الله عثراته»^(٤).

قال النبي ﷺ: «من اغتاب مسلماً أو مسلمةً لم يقبل الله صلته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة»^(٥).

قال النبي ﷺ: «يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول: إلهي ليس هذا كتابي، فإنني لا أرى فيه طاعتي».

فيقال له: «إن ربك لا يضل ولا ينسى».

فيقول: إلهي ليس هذا كتابي فإنني لا أرى فيه طاعتي، فيقال له ذهب عملك باغتياب الناس.

ثم يؤتى بأخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي، فإنني ما عملت هذه الطاعات؟

فيقال: «لأنَّ فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك»^(٥).

قال رسول الله ﷺ في خطابه في آخر حجّة له (حجة الوداع): «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إن الله حرّم الغيبة كما حرّم المال والدم»^(١).
لقد جعل فاعل الغيبة في الروايات دائماً إلى جانب مدمن الخمر: «تحرم

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩.

(٤) شرح نهج البلاغة: لابن أبي حديد، ج ٩، ص ٢٦.

الجنة على المغتاب ومدمن الخمر»^(٤).

ونقرأ في بعض الروايات: «أن من تتبّع عورة أخيه (ونقلها إلى الآخرين) تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه الله في جوف بيته»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ في آخر خطبة له في المدينة: «من اغتاب مسلماً بطل صومه»^(٥) يعني أنه يحرم من بركات الصوم وفضائله، وآثاره المعنوية التي يحظى به الصائم.

قال رسول الله ﷺ: «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زنية يزينها الرجل، وإن أربى الربا (أي أشدّ إثمًا) عرض الرجل المسلم»^(١).

وجاء في الحديث: «الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث».

قيل يا رسول الله ﷺ وما يحدث؟
قال: الإغتياب^(١).

كيف نتلافى الغيبة:

من أجل أن نتلافى ما ارتكبناه من اغتياب لهذا أو ذاك يجب أن نتوب إلى الله تعالى مما فعلناه، هذا إذا كان من اغتبناه ميتاً، وأن نعتذر إلى الله

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٦٠.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٥، ص ٢٥٢، عن سنن أبي داود، ج ٢، ص ٤٥١.

(٣) المحجة البيضاء: ج ٥، ص ٢٥٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٢.

(٥) أصول الكافي: ج ٩، ص ٣٥٧، باب الغيبة والبهت.

سبحانه ونسأله المغفرة، وهو التواب الرحيم.

وأما إذا كان من اغتبناه حياً فإن كان ممن ينزع ويغضب لو أخبرناه بأننا قد اغتبناه، لم يُجز أن نخبره بذلك (حسب فتوى بعض مراجع التقليد)^(٤).

وإذا كان هناك من استمع إلينا، وسمع ما قلناه عنه اغتيا ب أحد، وكنا قادرين على الاتّصال نتلافى ما فعلناه، وذلك بان نذكره عندهم بخير، ويتكريم بحيث يدفع ذلك التحقير والازدراء الذي لحق به جرّاء اغتيا بنا إياه.

وأما إذا لم يوجب اخبارنا لمن اغتبناه، باغتيا بنا إياه، انزعاجه، استحللنا منه، وطلبنا منه أن يجعلنا في حلّ.

قال المرحوم نصير الدين الطوسي رحمه الله في كتابه القيم (تجريد العقائد) ويجب الاعتذار إلى المغتاب مع بلوغه.

ويشرح العلامة الحليّ هذه العبارة بقوله: المغتاب (أي من اغتيا ب) إمّا أن يكون قد بلغه اغتيا به أو لا؟ ويلزم على الفاعل للغيبة في الأول (أي إذا كان قد بلغه اغتيا به) الاعتذار، وفي الثاني (أي إذا لم يبلغ اغتيا به) لا يلزمه الاعتذار، ولا الاستحلال منه.

(١) ولقد سألت أنا شخصياً آية الله العظمى السيد الكلبايكاني رحمته الله: هل يجب أن نقول لمن اغتبناه: لقد اغتيا بك فاجعلنا في حل؟ فقال: لا، لأنك إذا قلت له ذلك انزعج وحزن، وازعاج المسلم واجزأته معصية أخرى، وعلى هذا فإن ملافة وتدارك معصية الغيبة هو أن تستغفر الله ولا يجب استحلال من اغتيا في جميع الموارد.

وهذا الموقف مستمد من حديث لرسول الله ﷺ إذ قال في جواب من سأله: ما كفارة الإغتياب؟ «تستغفر لمن اغتبتك كلما ذكرته»^(٤).

أين تجوز الغيبة؟

هناك موارد تجوز فيها الغيبة نشير إلى بعضها:

- ١ - في مقام المشورة يعني إذا استشارنا أحد حول شخص آخر، جاز لنا ذكر عيوبه للمستشير (مطلقاً).
- ٢ - في مقام الرد على كلام باطل أو عقيدة باطلة، أو التجريح بقائلها، ومعتقدها، لكي يحذرهم الناس ولا يتبعونهم.
- ٣ - في مقام الشهادة على مرتكبي جريمة وذلك عند القاضي، كما يجب ذكر الحقيقة للرد على الإدعاءات الباطلة وتفنيدها.
- ٤ - للرد على شهادة الشاهد غير الموثوق به.
- ٥ - للتظلم، فإنه يجوز للمظلوم بيان ظلم الظالم الذي وقع عليه؟
- ٦ - تجوز الغيبة للتقية، أو للرد على الإدعاءات الخاوية، كالرد على من يدعي كذباً أنه مجتهد، أو أنه من السادة، أو أنه دكتور أو طبيب، ونحن نعلم أنه ليس كما يقول، وأنه لا يحمل هذه الصفة حقيقة، ففي هذه الحالات يجوز إطلاع الناس على واقع الأمر ونفي هذه الصفات عنه.

أخطار الغيبة:

تنطوي الغيبة على مجموعة من المعاصي والذنوب الأخرى منها:

١ - إشاعة الفحشاء، ونشر مساوئ الناس وقبائحهم وهو أمر من حيث الخطورة والقبح بحيث لم يكن النشر والإشاعة لهذه الأمور بخصوصه مرفوضاً دينياً ويستوجب عقوبة فقط، بل حتى مجرد الرغبة في نشرها كذلك يستوجب عذاباً أليماً^(١).

٢ - تحقير المؤمن أو إذلاله.

٣ - النميمة.

٤ - إيجاد الفتنة والقاء الفرقة.

٥ - الظلم وذنوب أخرى غير ما ذكر.

أنواع الغيبة:

إن الغيبة قد تكون باللسان وقد تكون بالإشارة، وقد تكون بالكتابة، وقد تكون بالصورة والشكل والتمثال، وقد تكون بتقليد شخص، وقد تكون بالسكوت.

فمثلاً يقول الشخص: للأسف: إن الدين يمنعني عن الكلام.

وبهذه العبارة الغامضة يفهم الآخريين بأن فلاناً يعاني من عيوب كثيرة.

(١) «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة... لهم عذاب أليم» سورة النور، الآية: ١٩.

أو يقول: الحمد لله نحن ما ابتلينا بكذا شيء سيئ وهو يفهم الآخرين بأن فلاناً قد ابتلي بذلك الأمر السيئ.

وأحياناً بذكر عيب نفسه وهو يحاول افهام الآخرين بأنه يعيب غيره مثلاً يقول: الإنسان ضعيف، أو نحن قليلو الصبر، وهو يعني أن فلاناً ضعيف، أو أنه قليل الصبر.

وربما بعد سماع الغيبة يقول مستغرباً: سبحان الله، الله أكبر، وبهذه العبارات يشجع فاعل الغيبة على الإستمرار في الاغتياب.

وربما قال بلسانه: لا تغتابوا، ولكنه يحب قلبياً أن يسمع الغيبة، وهذا هو النفاق.

أثار الغيبة:

أ. الآثار الأخلاقية والاجتماعية.

١ - نشوء البغضاء، وزوال الثقة، وحصول الفرقة والفتنة بين الناس، واقصاء الأشخاص المفيدين في المجتمع.

٢ - الجرأة الأكثر على المعصية، لأنه بمجرد أن يعرف الإنسان بأن الناس قد أطلعوا على عيوبه ومعاصيه، وأنه سقط اعتباره في المجتمع فإنه سيتجرأ على ارتكاب المزيد من المعاصي، وستزول في ظل هذه الحالة، كل فرصة للتوبة والإنابة، وترك المعصية والإقلاع عنها.

٣ - إن انتشار عيوب الناس وقبائحهم يلوّث البيئة والمجتمع، ويورث الآخرين الجرأة على الذنب.

٤ - إن هذا العمل يبعث في النفوس حس الانتقام، لأن الذي يغتاب عندما يعرف بأنه افترض، وسقط اعتباره في المجتمع، سيفكر في اسقاط اعتبار من اغتابه أيضاً.

وبعبارة أخرى: إن اغتيابنا للآخرين اليوم سبب لتجرؤ الناس على اغتيابهم لنا فقد جاء في الحديث: «لا تغتب فتغتب، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها، فإنك كما تدين تدان»^(٤).

ب. الآثار الآخروية.

١ - الغيبة توجب زوال الحسنات^(٥).

٢ - الغيبة تمنع من قبول الطاعات^(٥).

٣ - الغيبة تخرج الإنسان من ولاية الله وتدخله في ولاية الآخرين^(١).

دوافع الغيبة:

١ - قد يكون الدافع إلى الغيبة هو الغضب، فقد جاء في بعض الكتب

السماوية: «يا ابن آدم أذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا

أمحقك فيمن أمحق»^(١).

قد تكون موافقة الآخرين عاملاً من عوامل الغيبة.

(١) بحار الأنوار: ج٢٢، ص٢٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٦، ص٢٢٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٤٧.

(٤) الكافي: ج٢، ص٢٥٨.

(٥) المحجة البيضاء: ج٥، ص٢٦٥.

فالشخص عندما يرى أن الآخرين يعيبون على أحد، وحيث إنه لا يريد أن يبقى خارجاً عنهم يقدم هو الآخر على الاعتياب موافقة للآخرين، وجلباً لرضاهم، غافلاً عن أنه بفعله هذا يشتري غضب الله سبحانه القطعي، والحاضر، بالأمل في رضا الأصدقاء الإجمالي له.

**ولا شك أن ترجيح رضا الناس على رضا الله تعالى أكبر
خسارة.**

٢ - وقد يكون الدافع إلى الغيبة هو إظهار المرء نفسه بمظهر العظمة، فهو يهدم الآخرين ويحطم شخصيتهم ليرفع من منزلة نفسه ومكانتها. وهذا أيضاً يشتري سخط الله عز وجل الحتمي بالأمل بحب الآخرين الاحتمالي له.

٣ - قد يكون الدافع إلى الغيبة هو السخرية والاستهزاء غفلة عن أن الذي يغتاب قد يحتقر عند قليل من الناس، ولكن الله تعالى سيحتقر فاعل الغيبة يوم القيامة أمام الخلق أجمعين.

٤ - وقد يتحقق الاعتياب بإظهار التعجب، مثلاً يقول: كيف صار فلان رغم كل ذلك العلم والمعرفة هكذا؟!!

في حين يجب أن يتعجب هو من نفسه كيف يبطل جميع عباداته، ويجعلها هباء بهذه السهولة.

٥ - وقد يكون منشأ الغيبة هو الحسد.

٦ - وقد يكون اغتيال الآخرين من أجل التسلي والتلهي .

وربما لتبرئة نفسه يغتاب الآخرين، وذلك بإلقاء عيب نفسه على عاتق الآخرين ونسبته إليهم .

٧ - وقد يكون الاغتيال بدافع الشفقة على الآخرين فيقول مثلاً: إنني مغتمٌ جداً لأن فلاناً قد تورط في كذا مشكلة، أو صدر منه كذا فعل . هذا وقد تكون للإغتيال عوامل أخرى غير ما ذكرناه أيضاً .

الاستماع إلى الغيبة:

إن واجب الشخص الحاضر في مشهد اغتيال هو أن لا يستمع إلى الغيبة، بل يعرض عن ذلك ويدافع عن المؤمن فنحن نقرأ في الأحاديث: «الساكت شريك القائل»^(٤) .

قال رسول الله ﷺ: «من ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس ردّ عنه ألف باب من الشرّ في الدنيا والآخرة، فإن لم يرد عنه وأعجبه كان عليه كوزر من اغتاب»^(٥) .

وقال أيضاً: «من اغتیب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره خذله الله في الدنيا والآخرة»^(٥) .

لأن السكوت يصير سبباً في سقوط وضياع الأشخاص النافعين في المجتمع من دون أن يدافع عنهم أحد .

(١) غرر الحكم ودرر الكلم:

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٩٢ .

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٩١ .

قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً وللقوم زاجراً، وقم عنهم»^(٤).

وفي الآية ٣٦ من سورة الإسراء نقراً: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا .

ونقرأ في حديث كيف عدّ: «الغيبة كفرةً واستماعه والرضا به شركاً»^(٥).

كيف تترط الغيبة؟

١ - بالتوجه إلى أخطار الغيبة، وآثارها السلبية التي ذكرت في الصفحات السابقة.

٢ - بتذكر الإنسان لعيوب نفسه، فقد قال الإمام عليّ عليه السلام وهو ينكر على من يعيب على الناس وهو مبتلى بالعيوب: «كيف يذمه بذنب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه وما هو أعظم منه.

وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير، وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر»^(٥).

ونقرأ في الأحاديث: «طوبى لمن شغله عيبه (فاشتغل بإصلاحه) عن عيوب الناس»^(١).

(١) كنز العمال: ج٣، ص٥٨٦، الخبر ٨٠٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٢٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٠.

(٤) المستدرک: ج١، ص١١٦، عن نهج البلاغة.

تذكريات:

في نهاية البحث حول الغيبة ينبغي التذكير بعدة أمور:

١ - حرمة الغيبة لم ترد في هذه السورة وهذه الآية، فقط بل تستفاد

حرمة الغيبة من آيات أخرى مثل قوله تعالى: **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** (٤)

وقوله تعالى: **لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ** (٥) أي ذكر عيوب

الناس وإشاعتها.

٢ - في تحقق عنوان الغيبة لا بد من وجود دافع للاعتياب وهو تتبع

العثرات.

ولكن إذا ذكرنا عيوب الناس لإصلاح الآخرين، جاز ذلك وإن لم يرض

الشخص بذلك.

مثلاً إذا ذكرنا أحوال المريض وخصوصياته للطبيب جاز ذلك وإن لم

يرض المريض بذلك.

٣ - في تحقق عنوان الغيبة يشترط أن يكون من يغتاب شخصاً معيناً،

أما إذا قلنا: «البعض يقول كذا وكذا» ولم يعرف الناس مصداق من

نصفه جاز ذلك.

(١) سورة الهمزة، الآية: ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

٤ - قد لا ينطبق عنوان الغيبة على قول ما، ولكن إذا كانت الأقوال تطلق من باب التوهين والإهانة، والتحقير، وإشاعة الفحشاء، كان ذلك حراماً من باب آخر.

الآية ١٣



نقاط وتأمّلات:

اعتبر البعض هذه الآية مرتبطة بالآيات السابقة وقالوا:
حيث أنّ الاستهزاء والغيبة ناشئان من روح الاستكبار وتحقير
الآخرين تقول هذه الآية: إنّ ملاك التفوق والفضل، والكرامة
هو التقوى.

في هذه الآية جاءت الإشارة إلى ثلاثة أصول: أصل المساواة، وأصل التعارف بين المسلمين والمجتمعات الإسلامية، وأصل التقوى. طبعاً نلاحظ في آيات أخرى في القرآن الكريم معايير وملاكات أخرى من قبيل العلم والسَّوابق الحسنة، والأمانة، والقوة، والهجرة.

دروسٌ وبصائر:

١ - الذكورة والأنوثة أو كون هذا من القبيلة الفلانية، أو الجماعة الفلانية أو الشعب الفلاني ليس ملاكاً للفخر والاعتزاز، لأن هذه الأمور من صنع الله وليست من صنع الإنسان: «خلقنا، جعلنا».

٢ - الفروق الموجودة بين المخلوقات أمور حكيمة وهي مخلوقة من أجل التعارف والتعرف، وليست للتفاخر «لتعارفوا».

٣ - الكرامة عند الناس شيء عابر، والمهم هو الكرامة عند الله تعالى «أكرمكم عند الله».

٤ - على الأتقياء أن لا يطلبوا ولا يتوقعوا من الناس شيئاً بحجة أنهم أتقياء مكرمين عند الله تعالى، لأن هذه الكرامة مقام معنوي وهو عند الله «عند الله».

٥ - إن القرآن الكريم ألغى ورفض جميع أشكال وأنواع التمييز العرقي، والحزبي، والقومي، والقبلي، والإقليمي، والاقتصادية، والاجتماعي،

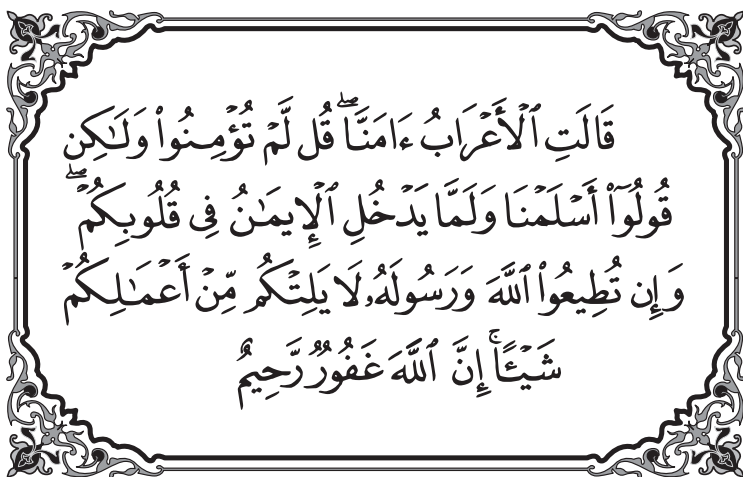
والعسكري، وجعل صفة التقوى وحدها معياراً للتفاضل والإكرام:
«إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

٦ - إن بسط رقعة النقود، والاستعلاء شيء فطري في الإنسان، وقد جعل الله سبحانه مسير هذه الرغبة الفطرية باتجاه التقوى: **«إن أكرمكم عند الله أتقاكم».**

٧ - إن الخالق يعرف بصورة أفضل أن العرق والقبيلة ليست ملاكاً ومعياراً للتقييم، وأن جميع مناشيء التفوق المتعارفة عند الناس لاغية: **«إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير».**

٨ - لا تتظاهروا بالتقوى ولا تدعوها إدعاء فإن الله يعرف كل شيء جيداً: **«عليمٌ خبيرٌ».**

الآية ١٤



نقاط وتأملات:

إنَّ المقصود من «الأعراب» هم سكان البادية، الذين كان بعضهم
مؤمنين، كما نعرف تكريمهم في سورة التوبة: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (٤)

ولكن بعض هؤلاء كان يرى نفسه أعلى من الآخرين، ويدعي الإيمان في حين لم يكن سوى مسلم عادي.

دروسٌ وبصائر:

- ١ - يجب أن لا نصغي لأي إدعاء أو شعار أو نصدقه: «وقالت الأعراب أمناً».
- ٢ - يجب لجم الإدعاءات الباطلة والتصدي لها: «قل لم تؤمنوا».
- ٣ - على كل أحد أن يلزم حدّه ولا يصف نفسه بأكثر وأعلى ممّا هو: «ولكن قولوا أسلمنا».
- ٤ - الإسلام مرحلة ظاهرية، ولكن الإيمان يرتبط بالقلب «في قلوبكم».
- ٥ - يجب أن نتحدّث مع الذين يدعون الكمال بنحو لا يؤدي إلى بأسهم من الوصول إلى الكمال: «ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم».
- ٦ - طريق الوصول إلى الكمال مفتوحة: «إن تطيعوا الله ورسوله...».
- ٧ - لقد جاءت إطاعة النبي ﷺ إلى جانب إطاعة الله تعالى، وهذه علامة على عصمة رسول الله ﷺ إذا تجب طاعته من دون تردّد: «إن تطيعوا الله ورسوله».

٨ - إن الله عادل فلا يظلم أحداً حقّه، وأجره مثقال ذرّة (وصاحب الإدارة والتدبير هو الذي لا يخس أحداً حقّه ولا ينقص منه مثقال ذرّة):
«لا يلتكم من أعمالكم شيئاً».

الفرق بين الإسلام والإيمان:

١ - التفاوت في العمق.

إن الإسلام صبغة ظاهرية، ولكن الإيمان تمسك قلبي، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** ^(٤) أنه قال: «الصبغة»: الإسلام. وقال في قوله عز وجل: **فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ^(٥): «هي الإيمان بالله وحده لا شريك له» ^(٤).

٢ - التفاوت والفرق في الدوافع.

قد يكون الدافع إلى الإسلام هو المحافظة على المنافع المادية أو الوصول إليها، ولكن الدافع إلى الإيمان هو حتماً معنوي.

قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال: «الإسلام به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح، والإيمان ما قر في القلوب» ^(١) ويكون عليه الأجر الأخروي «والثواب على الإيمان» ^(١).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٤.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٥.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٢٤.

٣ - التفاوت والفرق في العمل.

إن الإسلام بدون العمل أمر ممكن ولكن الإيمان يجب أن يكون مقروناً بالعمل كما جاء في الحديث: «الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل»^(٤).

وعلى هذا الأساس الإسلام موجود في الإيمان، ولكن لا يوجد الإيمان في الإسلام «الإسلام يشرك الإيمان والإيمان لا يشرك الإسلام»^(٤). وفي حديث آخر شبه الإسلام بالمسجد الحرام، وشبه الإيمان بالكعبة، لأجل أن الكعبة في وسط المسجد الحرام، وليس المسجد الحرام في الكعبة^(٥).

٤ - التفاوت والفرق في القضايا السياسية والاجتماعية.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن الفرق بين الإسلام والإيمان فأجاب عليه السلام قائلاً: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، والإيمان هذا الأمر (أي الإمامة) مع هذا»^(١).

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٥.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٦.

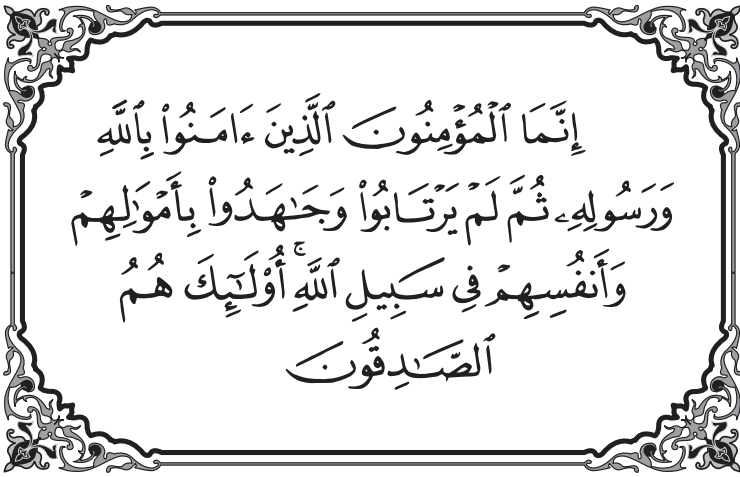
(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٤.

٥ - التفاوت في الرتبة.

فإننا نقرأ في حديث: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة وما قسم في الناس شيء أقل من اليقين»^(٥).

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٥١.

الآية ١٥



دروسٌ وبصائر:

١ - القرآن لا يكتفي بأن يبين ملاك التكامل ومعياره: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» بل ويشير إلى الأسوة والقدوة أيضاً: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ...**

٢- الإيمان بالنبي الأكرم ﷺ إلى جانب الإيمان بالله تعالى: «آمنوا بالله ورسوله».

٣ - علامة الإيمان الواقعي هي الاستقامة والثبات في طريق الدين وعدم التردد والشكّ فيه «ثم لم يرتابوا».

٤ - الإيمان أمر باطني، وهو يعرف من آثاره: «إنما المؤمنون الذين... وجاهدوا...».

٥ - الإيمان بدون عمل ليس سوى شعار «جاهدوا بأموالهم» (إيمان الخائفين والبخلاء ليس إيماناً واقعياً).

٦ - الجهاد في الثقافة الإسلامية يجب أن يكون بالمال والنفوس وأن يكون في سبيل الله. «وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله» (الذين يتهربون من الذهاب إلى ميادين الجهاد بدفع مبلغ من المال أو القيام بأعمال صعبة ليسوا مؤمنين واقعيين).

سِيَمَاءُ الْمُؤْمِنِ الْوَاقِعِي:

هناك أربع آيات ابتدأت في القرآن الكريم بجملة: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ» وهي تبين ملامح وسيماء المؤمنين الحقيقيين وهذه الآيات هي:

١ - إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ^(١).

٢ - إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ^(٢).

٣-٤ - إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ^(٣)، والآية الأخرى هي الآية الحاضرة.

ولو أننا جعلنا هذه الآيات الأربع بعضها إلى جانب بعض، نكتشف بالنظر إليها في مكان واحد ملامح وسيماء المؤمنين الصادقين الحقيقيين، وهم الذين قال عنهم الله تعالى أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا^(٤) وقال: أَوْلِيَّكَ هُمُ الصَّادِقُونَ .

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٤ - ٧٤.

وعلى هذا الأساس فالمؤمنون الحقيقيون هم:

١ - من وجلت قلوبهم، وتحركت ونبضت لله تعالى (لا للمال ولا للمنصب) إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ .

٢ - هم الذين يتوجهون في حركة مستمرة ودائمة ودؤوبية نحو الكمال، فلا توقف عندهم، وهم الملتزمون تجاه الأوامر الإلهية، المحبّون لها، العاملون بها عن شوق ورغبة وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا .
نعم هناك في المقابل من تكون قلوبهم قاسية (كالحجارة)^(٤) أو من تكون لهم حركة تراجعية، أو يرجعون إلى الأعقاب: ءَأَمِنُوا ثُمَّ كَفَرُوا^(٥) وبعضهم له حركة دائرية أي أنهم يدورون حول المطالب المادية ونداءات الغريزة، فيدورون حول هذه المحاور، وقد شبّها بحمار الطاحونة الذي يدور حول نفسه.

٣ - سنادهم الوحيد هو الإيمان بالله تعالى (فلا يتكلون على المعاهدات المالية ولا على الغرب أو الشرق) وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .

٤ - في النظام الاجتماعي يختارون القائد الإلهي الربّاني ولا يتحركون من دون أمره وإذنه، وهم أوفياء له: «إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَم يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ».

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٧.

٥ - إيمانهم إيمان ثابت مستقر (إيمانهم قائم على أساس العلم والعقل، والفترة، وهم لعلمهم بما يعملونه وصلوا إلى درجة اليقين، ولم تؤثر فيهم الدعايات المضادة ولم تزلزلهم الحوادث المختلفة سلباً وإيجاباً: «ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا».

٦ - هم الذين يدافعون عن عقيدتهم ودينهم بالنفوس والمال كلما اقتضى الأمر ذلك، واحتاج الدين إلى نصير: «وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ».

الثبات على الإيمان:

إن ما هو الأهم من الإيمان هو: الاستقامة والثبات عليه، وقد بين القرآن الكريم ذلك بعدة تعابير:

١ - قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا^(٤).

٢ - فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^(٥)
وهي وصية يعقوب عليه السلام لأولاده.

٣ - أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وقد فسرت هكذا: أي أدم لنا السير في الطريق المستقيم.

٤ - وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ^(٥).

٥ - تَوَفَّنِي مُسْلِمًا^(١).

٦ - فَسْتَقِرُّوا وَمُسْتَوْدَعًا^(١).

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «المراد من «المستقر» في هذه الآية ما ثبت من الإيمان والمراد من «المستودع» المعار أي الذي هو كالعارية المستردة»^(٤).

عوامل ثبات الإيمان:

العوامل الموجبة لثبات الإيمان هي:

١ - التقوى والورع، قال الإمام الصادق عليه السلام في جواب من سأل: ما الذي يثبت الإيمان: «الذي يثبته فيه الورع، والذي يخرج به الطمع»^(٥).

٢ - الإستمداد من الله سبحانه، إن ما هو ضروري لأجل ثبات الإيمان في القلب هو الإستمداد من الألفاظ الإلهية، لأن الله تعالى يأمر ملائكته بأن يثبتوا المؤمنين على الإيمان إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا^(٦).

وقال في مكان آخر: وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ^(١).

٣ - معرفة التاريخ وأخذ العبرة منه من أسباب ثبات الإيمان وعوامله، وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِهٖ فَوَّادِكٌ^(٢).

(١) ميزان الحكمة (الإيمان):

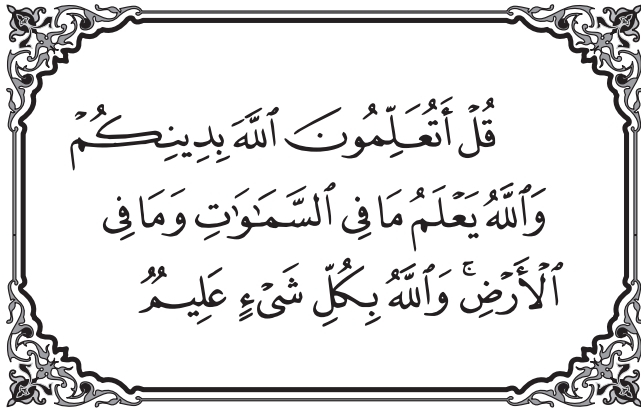
(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٦٨١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١٢٠.

الآية ١٦



نقاط وتأملات:

كان البعض يحلفون للنبي ﷺ بأن إيمانهم به إيماناً صادقاً، فنزلت هذه الآية تصرّح بأنه لا حاجة إلى الحلف واليمين، فإن الله تعالى يعلم بكل شيء.

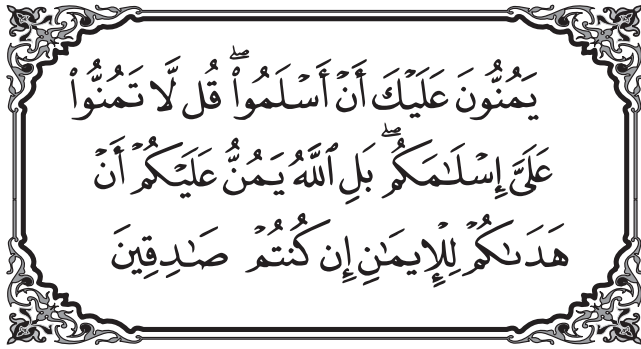
إن عرض الإيمان والمعتقدات على أولياء الله سبحانه إن كان بهدف التقييم والتصحيح، أو لأجل حصول الإطمئنان، كان عملاً محموداً جداً،

وهذا هو الذي فعله العالم التقيّ والمحدّث الجليل السيد عبد العظيم الحسيني الذي عرض عقائده على الإمام الهادي عليه السلام.
أما إذا كان عرض العقائد رياء (كالمخاطبين في هذه الآية) فهو أمر يستدعي التوبيخ والتنديد.

دروسٌ وبصائر:

- ١ - إن التظاهر عند النبي ﷺ هو في الحقيقة تظاهر عند الله تعالى .
فمع أن تلك الجماعة تظاهرت بإيمانها عند رسول الله ﷺ ولكن القرآن الكريم يقول : «أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ» .
- ٢ - لا ينبغي لنا الإِدِّعاء والتظاهر أمام الله سبحانه الذي يعلم كل شيء :
«أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ» .
- ٣ - إن الله تعالى عالم موجد الأشياء كما هو عالم بخصوصيات كل شيء : «يعلم.. وهو بكل شيء عليم» (يمكن أن يعلم المحافظ على مخزن بكل البضائع الموجودة في ذلك المخزن، ولكنه لا يعلم ممّ يتركب كل واحد من هذه الأشياء، أو ما هو أثر كل واحد منها على وجه الدقة والتحديد) .

الآية ١٧



نقاط وتأمّلات:

كان بعض المسلمين (مثل طائفة بني أسد) يَمُنُونَ بإسلامهم على رسول الله ﷺ، ويقولون: نحن آمنّا برسول الله ﷺ من دون قتال وسفك دماء، وعليك أن تعرف قدرنا إذاً يا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية تنهاهم عن هذا العمل .
لقد نوّه الله تعالى بنعمة الإيمان في هذه الآية، وفي الآية ١٦٤ من سورة آل عمران، والآية ٥ من سورة القصص منّ الله سبحانه على الناس بأن جعل المستضعفين ورثة الأرض، وهذا يدل على أن أهم النعم هي نعمة الهداية ونعمة القيادة المعصومة، ونعمة الحكومة الحقة .

دروس وبصائر:

١ - إن الاهتداء إلى الإسلام نعمة إلهية كبرى، وإن قبول إسلام الناس منة من جانب الله تعالى: **بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ** .

٢ - إن الله تعالى لا يحتاج إلى إسلامنا ولا إلى إيماننا ولا إلى عبادتنا: **«لا تمنوا على الله...»**.

٣ - إن علامة الإيمان الصادق هو أن نرى أن المنّة لله سبحانه علينا، لا أن نمنّ نحن على الله عزّ وجلّ: **«إن كنتم صادقين.. لا تمنّوا... بل الله يمين»** (أجل المسلم الواقعي يعتبر نفسه مديناً لله لا دائناً).

٤ - إن المنّ على النبي هو في الحقيقة منّ على الله تعالى، إن الله سبحانه يرد على المنّ على النبي بنحو كأنه من يمينّ على الله تعالى **يُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ... بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ** .

أجل إن الله تعالى يدافع عن نبيّه، ولا يرضى أن يمينّ أحد من الناس عليه، ولا يرضى أن يكون **﴿مُؤْمِنًا﴾** مديناً لأحدٍ.

٥ - أنتم تمنّون على الله سبحانه بمرحلة الإسلام **يُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ** أنّ

أَسْلَمُوا ولكن الله تعالى يمين عليكم بما هو أعلى وأعلى وهي مرحلة الهداية والاهتداء هَدَّكُمْ لِلْإِيمَانِ .
(مع أن مرحلة الإيمان أعلى درجة من مرحلة الإسلام).

٦ - المقصد النهائي والغاية القصوى للتكامل الإنساني هو الإيمان الواقعي هَدَّكُمْ لِلْإِيمَانِ لا التظاهر بالإسلام، لأن المنافقين كانوا مسلمين في الظاهر.

الآية ١٨



دروسٌ وبصائر:

- ١ - في مدار التوحيد فإن التقييم والتثمين لا يكون على أساس التظاهر والمنّ والشعارات، بل على أساس الإخلاص القلبي والذي يختص العلم به، بالله سبحانه **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** (فمن كان هذا مبلغ علمه كيف لا يعلم كيفية ونوعية إيماننا الباطني).
- ٢ - إن الإيمان بالعلم الإلهي والبصيرة الإلهية ضمان للتقوى لدى

الإنسان (فنحن إذا علمنا أنهم يصورون أعمالنا ويسجلون كلامنا بدقة من خلال كوة فإننا سوف نتحفظ كثيراً في تصرفاتنا وأحاديثنا).

٣ - إن علم الله سبحانه جاء مضافاً إلى كونه بصيراً، وهذا يعني أن علم الله تعالى علماً إجمالياً أو سطحياً أو يقتصر على بعد واحد وأنه قابل للتردد والشك أو إنه مؤقت **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ... وَاللَّهُ بَصِيرٌ ...** .
اللهم وفقنا لتلاوة القرآن الكريم والتدبر فيه والعمل به وإبلاغه إلى الآخرين، وارحم المؤلف والقارئ يا أرحم الراحمين .

الفهرس

٥	مقدمة
٩	سُورَةُ الْحُجُرَاتِ
٩	ملاحح هذه السورة:
١١	نقاط وتأمُلات:
١٢	الآية ١
١٢	نقاط وتأمُلات:
١٤	دروسٌ وبصائر:
١٧	نماذج
١٧	من التقدّم على الله تعالى ورسوله ﷺ:
٢٠	نماذج من التخلّف:
٢٣	بحث حول التقوى:
٢٥	العوامل المحصلة للتقوى:
٢٦	هل للتقوى محدودية؟
٣٠	الآية ٢
٣٠	نقاط وتأمُلات:
٣٤	دروسٌ وبصائر:
٣٦	المقدّسات في الإسلام:
٦٣	١. الذات الإلهية المقدسة وهي منشأ القداسة.
٤٢	احترام أولياء الله:
٤٤	الحبط وبطلان الأعمال:
٤٦	بطلان الأعمال في الأحاديث:
٥٠	الآية ٣
٥٠	نقاط وتأمُلات:
٥٢	دروسٌ وبصائر:
٥٤	أدب الحوار:
٥٦	نماذج:
٥٧	ما يمتاز به الثّواب الإلهي:

الآيتان ٤ و ٥ ٥٩.....

نقاط وتأمّلات: ٥٩.....

دروسٌ وبصائر: ٦٢.....

الآية ٦ ٦٥.....

نقاط وتأمّلات: ٦٥.....

دروسٌ وبصائر: ٦٧.....

ما هو الفسق ومن هو الفاسق؟ ٧٠.....

مواجهة الفاسق: ٧٣.....

التحقيق علاج الأمراض الإجتماعية: ٧٤.....

نموذجٌ مرّ: ٧٥.....

الإتقان والإحكام: ٧٦.....

الخبر والنبا في الإسلام: ٧٨.....

أسلوب التحقيق: ٨٠.....

الكذب: ٨٣.....

الآيتان ٧ و ٨ ٨٥.....

نقاط وتأمّلات: ٨٥.....

دروسٌ وبصائر: ٨٩.....

العلاقة بين الإيمان والعلم: ٩٣.....

الآية ٩ ٩٥.....

نقاط وتأمّلات: ٩٥.....

دروسٌ وبصائر: ٩٧.....

العدالة: ١٠١.....

العدالة في مدرسة الأنبياء ﷺ: ١٠٣.....

الأرضيات الاعتقادية والفطرية للعدالة: ١٠٥.....

دائرة العدل ونطاقه: ١٠٧.....

نماذج: ١١٠.....

الآية ١٠ ١١٢.....

نقاط وتأمّلات: ١١٢.....

دروسٌ وبصائر: ١١٤.....

الأخوة والتأخي: ١١٦.....

١٢٠ حقوق الأخوة:
١٢٣ أفضل الإخوان:
١٢٤ الصلح والتواصل في القرآن:
١٢٥ أهمية الإصلاح:
١٢٨ موانع الإصلاح:
١٢٩ بعض موجبات الرحمة الإلهية:
١٣١ عوامل نيل الرحمة في الأحاديث:
١٣٢ الآية ١١
١٣٢ نقاط وتأملات:
١٣٤ دروسٌ وبصائر:
١٣٧ السخرية بالآخرين والاستهزاء بهم:
١٣٧ جذور السخرية والإستهزاء
١٣٩ الإحتقار غير المتعمد:
١٣٩ درجات الاستهزاء ومراتبه:
١٣٩ عواقب الاستهزاء:
١٤١ خاطرة:
١٤٢ الآية ١٢
١٤٢ نقاط وتأملات:
١٤٥ دروسٌ وبصائر:
١٤٨ أقسام سوء الظن:
١٥١ ما هي الغيبة:
١٥١ الغيبة في الأحاديث:
١٥٣ كيف نتلافى الغيبة:
١٥٥ أين تجوز الغيبة؟
١٥٦ أخطار الغيبة:
١٥٦ أنواع الغيبة:
١٥٧ آثار الغيبة:
١٥٧ أ. الآثار الأخلاقية والاجتماعية.
١٥٨ ب. الآثار الآخروية.
١٥٨ دوافع الغيبة:
١٦٠ الاستماع إلى الغيبة:

- ١٦١ كيف تترك الغيبة؟
- ١٦٢ تذكيرات:
- الآية ١٣ ١٦٤
- نقاط وتأمّلات: ١٦٤
- دروسٌ وبصائر: ١٦٦
- الآية ١٤ ١٦٨
- نقاط وتأمّلات: ١٦٨
- دروسٌ وبصائر: ١٧٠
- الفرق بين الإسلام والإيمان: ١٧٢
- ١ - التفاوت في العمق. ١٧٢
- ٢ - التفاوت والفرق في الدوافع. ١٧٢
- ٣ - التفاوت والفرق في العمل. ١٧٢
- ٤ - التفاوت والفرق في القضايا السياسية والاجتماعية. ١٧٢
- ٥ - التفاوت في الرتبة. ١٧٤
- الآية ١٥ ١٧٥
- دروسٌ وبصائر: ١٧٥
- سيماء المؤمن الواقعي: ١٧٧
- الثبات على الإيمان: ١٧٩
- عوامل ثبات الإيمان: ١٨٠
- الآية ١٦ ١٨١
- نقاط وتأمّلات: ١٨١
- دروسٌ وبصائر: ١٨٢
- الآية ١٧ ١٨٤
- نقاط وتأمّلات: ١٨٤
- دروسٌ وبصائر: ١٨٥
- الآية ١٨ ١٨٧
- دروسٌ وبصائر: ١٨٧
- الفهرس ١٨٩